من بطحاء مكة

إلى سان فرانسيسكو

تأليف : محمد علي الدباسي

من بطحاء مكة إلى سان فرانسيسكو

تأليف

محمد علي الدباسي

1437هـ

ح محمد علي الدباسي ، 1435هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدباسي ، محمد علي عوض

من بطحاء مكة إلى سان فرانسيسكو / محمد علي عوض الدباسي

جدة ، 1435هـ

128ص ؛15× 21 سم

ردمك : 978-603-01-4386-3

1 – القصص العربية- السعودية أ . العنوان

ديوي 813،029531 1435 / 2184

رقم الإيداع : 1435/ 2184

ردمك : 978-603-01-4386-3

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

للتواصل مع المؤلف

بريد إلكتروني: maldubasi@gmail.com

تواصل اجتماعي: m19aldubasi

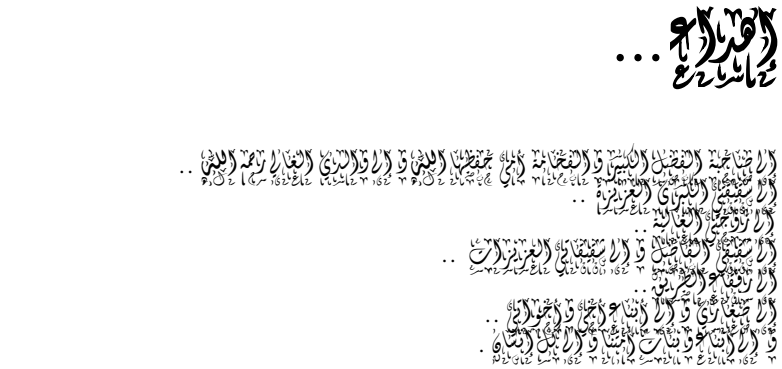

بسم الله الرحمن الرحيم

الرواية:

من هناك..

من كاليفورنيا.

من تلك الولاية الواقعة على الساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية، والمطلة على المحيط الهادي.

من الولاية المتنوعة جغرافيًا، حيث أعلى نقطة في الولايات المتحدة، وبالتحديد جبل وينتي إلى أدنى نقطة في وادي الموت.

من الولاية التي تغطي الغابات جزءًا كبيرًا منها، جنبًا إلى صحاريها ممثلة في صحراء موهافي في الجنوب، لتصور لنا صورة رائعة من صور إبداع الخالق الذي أتقن كل شيء سبحانه.

ولاية أطلق عليها الولاية الذهبية لاكتشاف الذهب فيها، وبالتحديد في شمالها من عام 1822م، فتغيرت اقتصاديًا وأقبل إليها الناس، فصارت حاضنة لهم، وبين أحضانها تنام ابنتها سان فرانسيسكو ناظرة للمحيط الهادي الممتد أمامها لتلقي له بأسرارها وليعطيها من دفئ ماءه.

سان فرانسيسكو..

مدينة أمريكية بمواصفات أوروبية، هكذا يصفها كل من يزورها.

مدينة كل شيء، فهي مدينة الحرية والليبرالية، وفي الوقت نفسه هي مدينة تضم سجن الكنراز الأثري الشهير في أحد جزرها والذي له الكثير من القصص والروايات والاعتقالات.

ومنها..

ومن قلب سان فرانسيسكو، وفي أحد شوارعها المنحدرة في منطقة توين بيكس ذات الحدائق والمسطحات الخضراء يجلس العم خالد في متجره.

يجلس كعادته ليبيع حلويات شرقية، عله يشم منها ماضي عتيق يشتاق دومًا لعودته.

ماضي تقرؤه على صحن كنافة تستعيد به ذكريات دمشق، مرورًا بروعة البسبوسة المصرية، والتي تشعرك عند تذوقها

بجلسات الحلمية القديمة، إلى حلاوة اللدو بعبق الحجاز الأصيل، مرورًا بالحلوى المراكشية الشهيرة.

كم هي الجلسة رائعة أمام دكانك.

هكذا يقول له الكثير من الزبائن الذين يفدون إليه مستمتعين بالجلوس أمام دكانه، فتكفيهم تلك النافورة الرائعة المحملة برائحة دجلة والفرات أو تلك الطاولات الخشبية، والتي تحيط بها زهور الفل اليماني الأصيل، لتشعرك وكأنك في أحد شوارع صنعاء القديمة.

مارك، أو الدكتور مارك لا يبعد مسكنه كثيرًا عن محل العم خالد.

مارك رجل أكاديمي بجامعة ستانفورد، يبلغ الخمسين من عمره، وهو عميد لقسم التاريخ بها.

رجل يميل للاكتشاف، والتعرف على ثقافات العالم من حوله، قضى إجازته الماضية في الصين، فكم كان يحلم بزيارة سورها العظيم، والذي سمع عنه الكثير .

يمر الدكتور مارك يوميًا بذات الشارع الذي به محل العم خالد كلما عاد من الجامعة بعد يوم عمل شاق.

وفي إحدى مرات عودته من الجامعة بذات الشارع استهوته لوحة على متجر فجذبه الاسم **((حلويات شرقية)).**

حلويات شرقية أثارت استفهام الدكتور مارك لشرق أوسط مليء بالمشكلات في تضاد يثير الاستغراب، مع قليل من بسمة ساخرة ترسمها شفتيه.

يدخل مارك فيلقي التحية: **ماذا لديكم؟**

يرحب به محمد فيقدم له قطعة كنافة في أسلوب شرقي لطيف قلما تجده في بيئة أمريكية، زرعت بسمة إعجاب على شفتي الدكتور مارك فشكره على لطفه.

أخذ الدكتور مارك يناظر يمنة ويسره، جذبه ذلك الرجل العجوز الجالس خلف صندوق الكاشير أكثر من ذلك الطبق الرائع عند مدخل المتجر.

عجوز يسرح بفكره.

جميل هو دكانك.. كلمات وجهها الدكتور مارك لذلك العجوز.

خالد : شكرًا لك، هذا من لطفك.

مارك: يبدو أن لديكم ما لذ و طاب من الحلوى.

خالد: نعم، إنها حلويات شرقية نصنعها هنا، صحيح أنك قد تجهل مكوناتها، لكنها ستعجبك كثيرًا.

مارك: يبدو ذلك من شكلها الرائع، ومن حسن ضيافتكم.

خالد: يسعدني ما تقول أيها الضيف.

مارك: اسمي مارك، أسكن بالقرب من محلك، هنالك في الشارع المقابل، أنا من نيويورك، لكنني أحببت سان فرانسيسكو فسكنت بها، و أنا الآن أعمل مدرسًا أكاديميًا في جامعة ستانفورد، ماذا عنك؟

خالد: سعدت بلقائك، اسمي خالد، وذاك الذي يجلس هنالك هو ابني محمد، مازال طالبًا في المدرسة، يأتي هنا ليساعدني حين ينتهي من دروسه.

مارك: إنني سعيد جدًا بوجودي هنا، سأتذوق كنافتكم، وإن أعجبتني فسوف أعود.

انتهى الحوار وخرج الدكتور مارك من المحل.

مارك رجل اجتماعي يحب التعرف على الناس، والحديث إليهم، والتعرف على ثقافاتهم، وقد يكون ذلك سببًا في تخصصه في دراسة التاريخ.

أعجب الدكتور مارك بالعم خالد، ذلك الرجل الوقور الهادئ، وأعجب كثيرًا بالأسلوب الشرقي اللطيف الذي وجده عند زيارته للمحل من ابنه محمد، ولذلك عاد مرة اخرى.

نعم لقد عاد مارك مرة أخرى لزيارة دكان العم خالد.

مارك: صباح الخير، يا سيد خالد.

خالد: صباح الخير دكتور مارك، أهلًا بك.

مارك: كانت كنافة رائعة.

خالد: شكرًا لك، هذا من لطفك.

مارك: تبدو لطيفًا جدًا، وملامحك ليست مكسيكية، ولا أوروبية يا سيدي.

خالد: نعم.. نعم، لقد جئت إلى سان فرانسيسكو منذ عشر سنوات، أمتلك هذا المحل لأبيع فيه الحلويات، إنها المهنة التي أتقنها منذ أن كنت في دير ياسين.

مارك: دير ياسين!

خالد: نعم، إنها بلدتي التي تركتها رغماً عني وجئت إلى هنا، إنها في فلسطين.

مارك: أه.. فلسطين، إن لديكم مشكلة مع اليهود هناك، الكل يريد الأرض له، ألم تفكروا يومًا في الصلح وتعيشوا في سلام لينتهي كل شيء؟

لماذا أنتم قتلة وتريدون كل شيء بالقوة؟

لماذا لا تستمعون إلى الآخر؟

لماذا تحبون دائمًا أن تفرضوا ما تريدون؟

أنتم متشددون، غوغائيون، تريدون أن تثبتوا بأنكم الأفضل، و لا تريدون لصوت أن يعلو صوتكم، أبدًا ليست الحياة كذلك.

آه.. عذرًا سيدي إن كنت قد تجاوزت حدي في الحديث معك، أنا آسف.

خالد: لا عليك، كنت أتوقع أن تقول مثل ذلك، بل وأكثر من ذلك، إنك لا تعرف عنا وعن الإسلام إلا ما ينقله لكم الإعلام.

أنت رجل أكاديمي يا دكتور مارك، فكيف تقول مثل هذا الكلام دون أن تبحث في القضية وتتيقن منها.

إن فهمك الخاطئ لحقيقة الأمر وعن صراعنا ومن شخصياتنا كمسلمين، و التصورالمرسوم في خاطرك عنا جعلك تقول ذلك.

إنني هنا منذ عشر سنوات يا دكتور مارك، وكم أنا مشتاق للعودة للمكان الذي تقول أنت أننا نتصارع من أجله.

إن شخصياتنا كمسلمين لا يرسمها أبدًا حب القوة أو العداء كما تظنون، إنما يرسمها منهج وضعه لنا دين يريد لنا الخير، ويريدنا أن نبذل ليصل ذلك الخير لكل البشرية.

إن دين الإسلام يا دكتور مارك هو دين أراده الله أن يقوم على هذه الأرض التي خلقها حتى تكون كلمة الله هي العليا.

إنه دين أراد الله أن يستظل الإنسان بظله بعيدًا عن الشهوات والمفاسد حتى يعيش بطريقة عادلة مع غيره على هذه الأرض، ويقيم به الحياة لينجو من هذه الدنيا ويتمتع بنعيم اليوم الآخر، ولأجل ذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بالسعي لينتشر هذا الدين وتستظل بظله كل البشرية، ولذلك حوربنا، وإنني عندما أريد أن أجاوب على سؤالك لماذا لا نعيش مع بعضنا كما تدعي فإنني هنا لابد أن أجيبك على الكثير من التساؤلات، لأن الإجابة هنا مرتبطة بكل شيء من حولنا، ولأن ديننا ليس محصورًا في مكان العبادة فقط، إنما في كل شيء في هذه الحياة.

مارك: !!!

خالد: بالتأكيد لم تكن تعلم ذلك، أو أن ذلك نُقل إليك بصورة خاطئة.

مارك: قد أوافقك على أن هنالك دينًا أراده الرب، لكن لماذا تقولون أنه الإسلام فقط وتتعصبون لذلك؟ لماذا لا تكون النصرانية كذلك؟

خالد: لن أجيبك لكن ستجيبني أنت.

مارك: كيف ذلك؟

خالد: أنت تؤمن بوجود دين سماوي؟

مارك: نعم، بل هي أديان سماوية وليست دينًا واحدًا.

خالد: من جاء بها؟

مارك: الرب.

خالد: وهل أرسل الله ما يؤيد حقيقة هذه الأديان ويبينها للناس؟

مارك: نعم أرسل أنبياء وأنزل لهم كتب.

خالد: كم هي عدد الأديان السماوية؟

مارك: كثيرة.

خالد: هل كلها صحيحة؟

مارك: بالتأكيد طالما أنها من عند الرب.

خالد: هل هي مترابطة فيما جاءت به، أم أن كل دين مستقل بذاته؟

مارك: أعتقد أن كل دين مستقل بذاته.

خالد: إذًا معنى ذلك أن الحق متعدد.

مارك: الحق لا يتعدد في مثل هذه الأمور يا خالد، لأن الرب واحد.

خالد: إذًا هي مرتبطة ببعضها.

مارك: !!

خالد: نعم يا دكتور مارك الأمر كذلك، طالما أن الأديان السماوية كما عددتها أنت هي من رب واحد، إذًا هي لهدف واحد أراده الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ولها طريق واحد يوصل إلى الله، وعلى ذلك هي ليست أديان إنما هو دين واحد من رب واحد، أرسل له عدة رسل بما يناسب مع كل رسول المرحلة التي بعث فيها، لكن هنالك من نسب لكل نبي دينه الخاص به، حيث أن هنالك من قوم النبي من انحرفوا عن شريعة نبيهم وسلكوا مسلكًا بدعيًا جديدًا بعيدًا عن منهج وهدف النبي المبعوث إليهم، أو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، ونسبوا لذلك النبي ولأنفسهم ذلك المنهج

الذي يرضي أنفسهم، ولو لم يكن الأمر كذلك دعني أسألك سؤالًا يا دكتور مارك.

مارك: تفضل.

خالد: لماذا الله سبحانه يريد لنا نحن البشر أن نتبع منهجه وشريعته، وأن يقوم ذلك المنهج على هذه الأرض، ثم يكون كما تقولون أن يرسل لنا عدة أديان وطرق للوصول إليه سبحانه، فتُحدث الخلاف بين البشر، ولا يستقيم منها شيء بسبب ذلك الخلاف الذي سبب صراعًا، لأن كل فريق يرى أنه على حق طالما أنه يتبع أمر السماء؟ هل سيفعل ذلك سبحانه؟

قد تقول أن ذلك للابتلاء حتى يعرف من يتمسك بالحق الذي معه، لكنني سأقول لك كيف يكون ابتلاءً بين حق و حق؟

مارك: ما تقوله صحيح لكن لنقل أن كل دين حق فلماذا يحدث الصراع؟ ليترك كل فريق الآخر، والرب هو الذي سيحاسب.

خالد: كيف تكون كلها صحيحة وفي شريعتنا مثلًا نقرأ أن ديننا هو الصحيح، واليهود والنصارى يقولون ذلك أيضًا، هل سيجعلنا الله سبحانه في حيرة من معرفة الحق؟

مارك: !!

خالد: حاشاه عز وجل أن يفعل ذلك، ولذلك دام أن ديننا الحق فنحن مطالبون بنشره للبشرية بالطريقة التي أمرنا بها الله سبحانه، و برحمة حتى يشاركوننا في هذا الحق، لكنهم رفضوا كل ذلك بل حاولوا إطفاء ذلك الحق فحدث الصراع.

إن ديننا الإسلامي يا دكتور مارك يقر ويؤمن بأن الله سبحانه أرسل رسلاً للأمم السابقة، وأن كل رسول بعث بشريعة تناسب الناس في تلك الفترات، مع اتفاق جميع الرسل على الهدف الذي كان واحدًا، وهو إفراد الله بالعبادة والكفر بالطاغوت، وأن محمد ﷺ هو خاتم هؤلاء الرسل، وأن الإسلام هو الدين المهيمن، وهو دين الله الذي جاء به جميع الرسل، وأن الإنسان لن يتحقق إسلامه إلا إذا آمن بجميع الرسل والكتب، و هنا دعني أسألك، هل أنزل الله سبحانه كتابًا على عيسى عليه السلام؟

مارك: نعم، الإنجيل.

خالد: هل ذكر الإنجيل بأن هنالك نبيًا آخرًا سوف يأتي من بعد عيسى عليه السلام؟

مارك: لا، لم يذكر.

خالد: أأنت متأكد؟

مارك: اعتقد ذلك، قرأت أكثر من إنجيل ولم أنتبه لهذا الأمر.

خالد: أكثر من إنجيل! كيف ذلك؟

مارك: هو ذلك.

خالد: لن يكون ذلك إلا إذا حرف البشر معانيه بعدة طرق فظهر بكتب عدة، وهذا الذي كان، فهل تعتقد بأن كتابًا تدخل البشر في تغييره سيعود كما كان، وسيكون هو المنهج الصحيح لكل البشر؟ أم أن الله سبحانه ترك أمر حفظه للبشر لأن أحكامه مؤقتة لذلك الزمن والمكان إلى أن يبعث رسولًا آخرًا؟ وعلى ذلك فليس ذلك الكتاب لكل زمان ومكان، لأنه ليس آخر الكتب السماوية كحال القرآن الذي هو آخر الكتب.

دكتور مارك، لو أراد الله سبحانه وتعالى لشريعة عيسى عليه السلام، أو لشريعة موسى عليه السلام أن تستمر إلى قيام الساعة لما فقدت كتبهما وأعاد صياغتها البشر، لكن لأن أحكامهما مؤقتة تناسب ذلك الزمان كان لابد من كتاب جديد يناسب الزمن القادم سينزل على آخر الأنبياء، ولو أراد الله سبحانه لأحد الكتب بأن تستمر أحكامه لاستمر عليه آخر الرسل محمد ﷺ، لأنه مبلغ لأمر الله، وجاء بما جاء به الرسل من قبله، وليس بيده عليه الصلاة والسلام تحديد الكتاب.

أريدك أن تعلم يا دكتور مارك بأن الإسلام هو الدين السماوي الذي جاء به كل الأنبياء، والذي أراده الله لكل

البشر، ولم يريده بعض البشر لحياتهم، فكان ما كان من الحروب والقتال.

دكتور مارك، أنت سافرت إلى كثير من دول العالم، ورأيت حضارات كثيرة، لكنك أبدًا لم تفكر في أن تزور بلاد المسلمين وتتعرف عليهم، ورغم ذلك لم ينتظرك الإسلام أن تأتيه فقد جاءك إلى هنا.

مارك: جاءني! هنا!

خالد: نعم، إنه حديث ذي شجون، لا أعتقد أن الوقت يسعفنا الآن للحديث، لكن لعلنا أن نلتقي في إجازة نهاية الأسبوع.

مارك: وهو كذلك، سيكون لقاءً رائعًا، كم أنا سعيد بالالتقاء بك، والحديث إليك.

خالد: وأنا كذلك يا دكتور مارك.

مارك: ما رأيك يا سيد خالد أن نلتقي في حديقة قولدن قيت؟

خالد: قولدن قيت، إنه مكان رائع، من الجميل أن نلتقي هناك.

مارك: إذًا اتفقنا.

كان هذا اللقاء مهمًا جدًا بالنسبة للدكتور مارك، لأنه سمع كلامًا لم يسمعه من قبل.

دينًا أراده الله أن يكون على هذه الأرض.

الإسلام ليس كما أنت تتصور.

الطريق للرب طريق واحد.

الإنجيل ليس آخر الكتب.

كلمات وعبارات أخذ الدكتور مارك يعيدها كل يوم في مخيلته.

يعيدها وهو مترقب للقائه مع خالد في حديقة قولدن قيت.

نعم إنها قولدن قيت..

تلك الحديقة الرائعة في قلب سان فرانسيسكو، والتي بها أكثر من مليون شجرة على مساحة واحد وأربعين كيلو متر مربع، لتصنع صورة من صور الجمال هناك.

حديقة تكمن روعتها في كون أنها ليست حديقة واحدة، بل في تعدد ما تشاهد فيها من حدائق، كحديقة الزهور، بالإضافة إلى الملاعب الرياضية، وملاعب الأطفال، مرورًا بالبحيرات الهادئة، كبحيرة سبيكلس، أو بحيرة تاهو، والتي تعتبر أكبر بحيرات الحديقة، إلى غير ذلك من المناظر الرائعة، ولا ننسى كذلك جسر البوابة الذهبية المعلق والشهير عالميًا، والذي يربط بين سان فرانسيسكو في الطرف الشمالي إلى مدينة سوساليتو في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة، في مقاطعة مارين.

كان يومًا جميلًا و مشمسًا، والكل يريد أن يتنزه.

الساعة تشير إلى السابعة، يستيقظ الدكتور مارك.

إلى أين سنخرج اليوم؟ قالتها له زوجته إيميلي .

مارك: سأخرج اليوم مع صديق لي تعرفت عليه قبل أيام، إنه خالد صاحب محل الحلويات الذي في طرف الشارع

المقابل لنا، عذرًا عزيزتي، لم أخبركِ بذلك من قبل، سألتقي به في حديقة قولدن قيت.

إيميلي: مكان رائع حقًا، سأذهب أنا أيضًا، لكنني سأكون بالقرب من حديقة الزهور لألعب مع ابننا جيمي هناك.

مارك: حسنًا.

ذهب الدكتور مارك للالتقاء بخالد.

كان المكان لطيفًا جدًا، والجو في قمة روعته، والخضرة تكسو المكان.

وهناك..

وعلى ذلك الكرسي المطل على بحيرة سبيكلس كان العم خالد جالسًا يرتشف كوبًا من القهوة، وممسكًا بجريدته المفضلة يتأمل أحداث العالم من حوله.

مارك: صباح الخير يا سيد خالد، كيف حالك؟

خالد: صباح النور، أهلًا دكتور مارك، إنني في أحسن حال والحمدلله.

مارك: يبدو أنك هنا منذ وقت طويل.

خالد: قبل نصف ساعة من الآن، جئت مبكرًا كي أرقب شروق الشمس، إنه منظر رائع، تفضل بالجلوس يا دكتور مارك.

مارك: كنت أفكر في الأيام الماضية في الحديث الذي دار بيننا في محلك.

خالد: وما رأيك؟

مارك: لا أدري.

خالد: لست وحدك كذلك، ستتعجب يا دكتور مارك عندما أخبرك أنه حتى من بين المسلمين من لم يفهم الإسلام بشكل صحيح، ولذلك لا أتعجب مما أسمعه منك الآن.

مارك: وهل الإسلام يصعب فهمه لهذه الدرجة؟

خالد : أبدًا لكنه الصراع.

مارك: صراع.

خالد: نعم صراع، أنا أريد، أنت لا تريد، الإسلام يا دكتور مارك كالأم فهي تريد أن ترعى أبنائها، وتعطيهم ما ينفعهم ويفيدهم، لكن الأبناء دائمًا لا يريدون.

مارك: صراع هوى.

خالد: بالضبط.

مارك: إذًا ما يطلبه الإسلام من الإنسان ليس بالأمر السهل.

خالد: أبدًا ليس كذلك، إن الإسلام كما أخبرتك دين أراده الله على هذه الأرض ليكون منهجًا لأهلها، فالرب هو من خلق الإنسان، وهو أعلم بما هو أنفع له، ولذلك فإن أحكامه هي الأنسب للإنسان، لكن الإنسان لا يبحث عن الأنسب والأنفع بقدر بحثه عن عدم التقيد وتلقي الأوامر.

دكتور مارك، لنبدأ حديثنا من البداية، هل تؤمن بوجود الرب؟

مارك: ما هذا السؤال! بالتأكيد نعم، فأنا أؤمن بالنصرانية، و بعيسى.

خالد: لا تستغرب، لأني أتعجب من الذين لا يؤمنون بوجود إله.

بوجود خالق لكل ما حولنا من أمور، سماوات، أرض، جبال، وكيف جاءت؟ من يسير أمورها؟

مارك: آه.. إنه الإلحاد، لعلك تقصد الملحدين، سمعت كثيرًا عنهم، وجلست مع ملحدين، لم يقتنعوني ولم أقنعهم.

خالد: لتعرف يا دكتور مارك أن الملحدين أتباع أهواء أولًا.

مارك: أهواء!

خالد : نعم، هم لا يريدون القيود، لا يريدون أن يقودهم شيء، لا نظام، ولا إله، ولذلك كفرو بوجود الله.

مارك: كيف ذلك.

خالد: ينسبون كل شيء للطبيعة حتى لا تقيدهم بأوامر، هي أوجدتهم كما يقولون، وهنا انتهت الحكاية بالنسبة لهم، ولو أقررنا بكلامهم لنسألهم ما هي الطبيعة؟ وكيف وجدت؟

لنسألهم كيف لانفجار عشوائي أن يخلق من أحشائه نظامًا مرتبًا؟

أليس الانفجار الكوني الذين يدعون حدوثه فعل؟ من قام به؟ وكيف يتحكم بالعالم بعد أن قام به؟

لنسألهم كيف استطاعت الطبيعة أن توجد هذا الكون؟ كيف استطاعت بدقة متناهية أن تفعل وتفعل، وأن تنظم هذا العالم؟

ماذا عن أمرها مع السماء؟ ومع الأرض؟

إذا كانت الطبيعة بهذا العقل الكبير والراجح، واستطاعت أن تصنع العالم وتقوده وتنظمه، لماذا لم تعدل؟

لماذا لا تساوي بين الناس؟ لماذا غني وفقير؟ لماذا قوي وضعيف؟ لماذا صحيح ومريض؟

هل الطبيعة ظالمة؟ أم أن هنالك أمراً آخراً تخفيه؟

هل هي تجرب الناس لترى كيف يتصرفون حتى تجازيهم؟ وأين؟ وكيف ستجازيهم إن كانت ستفعل ذلك؟

لماذا الخير والشر؟

لماذا هنالك من يُعاقَب؟ وهنالك من يموت دون أن يُعاقَب؟ هل جاملته الطبيعة على حساب غيره، خاصة وأنها لم تذكر لنا موعدًا آخرًا للجزاء ورد الحقوق؟

ثم لتسألهم أين قانون الطبيعة الذي ينظم العلاقات بين الناس؟

لا تخبرني بأن البشر هم الذين سيتكفلون بوضع ذلك القانون، لماذا لا تضعه الطبيعة بنفسها دام أنها بهذا العقل الذي أوجد الكون؟

إذا لم يجيبوا على هذه الأسئلة، لماذا لا يعترفون بأن الطبيعة ليست بالأمر العظيم دام أنه ليس لها تلك القدرة؟

ثم لتسألهم يا دكتور مارك عن الدين الذي نؤمن به نحن ولا يؤمنون هم به، لماذا نفس الفكرة على مر العصور قائمة بين الناس، وهي أن دينًا أراده الله ليقود الناس؟

هل يدل ذلك على أن الدين حقيقة؟ أم يرون أنها محاولة فاشلة من أناس لتنظيم الحياة؟

مارك: كلامك جميل جدًا، لكنهم لا يؤمنون بالدين لأن من أمر بالدين ليس موجودًا بيننا، وقد لا يكون موجودًا أصلًا كما يقولون.

خالد: ليس ما يقولونه صحيحًا، وإلا كيف يؤمنون بالعقل ويفرقون بينه وبين الدماغ وهو ليس موجود بيننا؟

ألا يكفيك كل ما حولك من علامات، وسماوات، وأرض، ونجوم، وخلق مخلوقات، وما تشعر به، ألا يكفيك لتؤمن بوجود صانع مبدع، وأن القضية ليست مجرد انفجارًا عشوائيًا؟

مارك: قد يقولون، ولماذا أنتم حددتم بأن الرب هو الصانع؟ لماذا لا يكون شخصًا آخرًا؟

خالد: وهل جاء أحد وادعى بأنه هو الصانع، وأثبت ذلك؟

إن الصانع للكون والذي يثبت تحكمه به هو الأحق بأن يعبد، ولذلك في القرآن الكريم ذكرت قصة في هذا الأمر بين نبي

الله إبراهيم عليه السلام وبين النمرود، تقول القصة بأن النمرود تحدى نبي الله إبراهيم عليه السلام بأنه يستطيع أن يحيي ويميت، عندما ذكر له نبي الله إبراهيم بأن الله هو الذي يحيي ويميت، وعندها جاء له إبراهيم عليه السلام بحجة قوية، فقال له بأن الله يأتي بالشمس من المشرق فهل تستطيع أن تأتي بها من المغرب؟

عندها بهت النمرود.

نعم بهت، لأنه أمر لا يستطيع أن يملكه، ولو ملكه وتغلب على كل تقلبات الكون لاستحق أن يعبد، لأن الذي يستطيع أن يتحكم بكل شيء في الكون هو الوحيد الذي يستحق العبادة، ولا يوجد من يتحكم في ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

إن الطبيعة لن تفعل كل شيء من تلقاء نفسها، بل هي مجرد دورة حياة يحركها واحد أحد هو الله سبحانه.

إنه الصانع الوحيد سبحانه الذي أرسل رسلًا ليبينوا للناس عبادته، وطريقة السير على منهاجه، ولو كان هنالك صانع آخر كما ذكرت لك ليأتي وليثبت أنه الأحق، وما عدا ذلك فهو هراء.

لتفهم يا دكتور مارك أنهم ما قالوا ذلك إلا لأنهم أرادوا الانطلاق من قيود الدين ليعيشوا كما يريدون، وهذا تصور خاطئ.

إننا لسنا في غابة حتى نعيش كما نريد، و بما أننا في هذا الكون، وأن لهذا الكون صانع، لابد لنا باتباع أنظمة ذلك الصانع حتى نستطيع العيش في هذا الكون بنظام يضمن لنا العيش، ونأمن فيه من أن يعتدي بعضنا على بعض.

مارك: لو آمنا بأن الرب هو من صنع كل شيء في هذا الكون، وأن لكل شيء صانع فمن صنع الرب؟ من خلقه؟

خالد: فكر معي يا دكتور مارك، هل الأصل في هذا الكون العدم أم الوجود؟

لو قلنا العدم هو الأصل فكيف جاء هذا الكون بكل ما فيه من العدم؟

لو قلنا انفجار كوني فقد تحدثنا سابقاً بأن الانفجار الكوني فعل، ولابد للفعل من وجود فاعل، فمن أين جاء الفاعل في وقت العدم؟ وعلى ذلك فالأصل في الكون هو الوجود، بمعنى أن الأصل وجود واحد أحد يقول للشيء كن فيكون فَعَل كل ذلك، وبدأ بكل ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى.

مارك: جميل جداً ما ذكرت، لننتقل لنقطة أخرى يا خالد، ألا يكفي أن يكون هنالك قانون ينظم الكون هنا فقط دون الحاجة للحديث عن العالم الآخروي أنه ينتظرنا المزيد من الجزاء هناك؟ لماذا نتحدث عن عقوبات في العالم الآخر ربما تقع وربما لا؟

لماذا يا سيد خالد لا تكون العقوبات محسوسة من واقع الحياة؟ ماتت أجيال منذ مئات السنين ولم يتغير شيء، الكون هو الكون، والحياة هي الحياة.

خالد: وإلى أين ذهبوا يا مارك؟

مارك: إلى الفناء.

خالد: من أخبرك أنه الفناء؟

مارك : مئات السنين مرت ولم يعودوا، وهذا هو الأصل في القضية.

خالد : دام أننا أقررنا بوجود رب صانع لهذا الكون، وأنه ليس هنالك غيره ادعى هذا الأمر وأثبته، لابد لنا أن نؤمن بما يقوله لنا ذلك الصانع، لأن من استطاع أن يوجد الشيء من عدم قادر على إعادة تكوينه مرة أخرى، وأن السنين وإن طالت فليس طولها عجز عن فعل الإعادة بقدر ما هو انتظار لنهاية الحياة على هذا الكون.

إن أي قانون يا دكتور مارك إن حاسبك على أمر ما فإنه سيحاسبك على ما هو ظاهر له، ولن يعلم بسريرة نفسك وما اقترفته من أمور بعيدًا عن أعين من حولك، وبالتالي لن نصل إلى قمة العدل التي ننشدها لرد حقوق المظلومين، ولذلك أنزل الله لنا كتابًا لنتحاكم إليه ونحن على هذه الأرض

ونجتهد في ذلك، وما غاب عنا من أمور ما استطعنا رد الحقوق لأصحابها بسبب أننا لا نعلم إلا ما هو ظاهر لنا فإن الله سيقضي فيها يوم الجزاء.

مارك: ولماذا لا يكون الجزاء للأخطاء التي لا يعلمها إلا الله في الدنيا بأن ينزل على أصحابها عقوبات كما فعل بالأمم السابقة كما تقولون؟

خالد: قد يشعر الظالم بالألم لو عوقب كذلك لكن المظلوم قد لا يتبين له أن العقوبة كانت من أجله، ثم لو كان ذلك، كيف يستعيد المظلوم حقه المسلوب؟ وأين جزاءه على أيام صبره وعلى تحمله من أجل الله؟ ألا يستحق أعظم الجزاء عليها؟ ولن يكون ذلك إلا في يوم الحساب، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة يكون فيها الخلود الأبدي بعيدًا عن سطوة بعض الناس على بعضهم.

هل عرفت الآن يا دكتور مارك أن قضية الإلحاد أو حتى عبادة أي شيء من حولنا من دون الله هي قضية هوى في الأصل، أو هي قضية جهل، لا قضية فكر، لأن كل فكر سليم سيقود صاحبه إلى التأمل الصحيح، وأن هنالك صانع لكل ما هو موجود في هذا الكون، وبالتالي إلى معرفة الله عز و جل.

مارك: آه.. فهمت.

خالد: أعتقد بأنه آن لي أن أعود إلى المنزل لأنهي بعض أموري، الشمس ستغرب بعد قليل، و لابد أن أصلي بالقرب منه.

مارك: ألن نتناول العشاء سويةً؟

خالد: ليكن ذلك في اللقاء القادم، وسأترك لك حرية اختيار المطعم المناسب.

مارك: بكل سرور، إذًا لنلتقي في منطقة الفيشر مان.

خالد: اتفقنا، وسأكون هناك بانتظارك.

عاد مارك إلى منزله مسرورًا، وسروره هنا ليس بمناظر حديقة قولدن قيت، فهو قد تعود على جمالها والاستمتاع بها، لكن مصدر سعادته لأنه وجد شخصًا يملك كلامًا معقولًا موزونًا لا يجد من نفسه موضع حرج وهو يتحدث عن الحياة وعن الدين.

هو سعيد لأنه وجد شخصاً علم من أول حديث معه أنه واثق من الدين الذي ينتسب إليه، والثقة هنا ليست مبنية على عصبية انتماء بقدر ما أنه علم الحق فتمسك به.

دين ليس ككل الديانات، بل وليس هو الإسلام الذي سمع عنه من قبل.

نعم، سمع كثيرًا عن الإسلام، لكنه ما بحث عنه أبدًا واكتفى بما سمع، فكانت عداوته لهذا الدين نتيجة طبيعية لذلك.

اليوم عطلة والجو في قمة روعته، وما يزيد روعة هذا اليوم عند الدكتور مارك هو لقاءه بالعم خالد ومواصلة الحديث معه.

نعم يتكرر اللقاء، لكن هذه المرة كان كما هو متفق عليه عند شاطئ البحر، وبالتحديد في منطقة الفيشرمان، أو مرسى الصيادين.

منطقة الفيشرمان منطقة رائعة وواجهة بحرية تضم الكثير من المطاعم البحرية القوارب السياحية والمتاحف الجميلة.

مارك: مرحبًا خالد، كيف حالك؟

خالد: بخير والحمدلله، وأنت أخبرني عن حالك؟

مارك: في أحسن حال، كيف هو البحر معك هذا اليوم؟

خالد: جميل جدًا، وسيزيد من روعته أن يكون طعام غدائنا بحريًا .

مارك: نعم، ما رأيك بتناول سمكًا مشويًا؟

خالد: رائع، ليكن سمكًا مشويًا.

كم يذكرني هذا البحر يا دكتور مارك بحوض الأبيض المتوسط عندما كنت أذهب مع أسرتي إلى بيت عمي في غزة، فقد كنا دائمًا ما نصيد الأسماك، و نقوم بشوائها ونحن صبية مع أبناء عمي، وأصدقائي، ثم نعود للمنزل قبل أن يحل المساء.

مارك: لقد عدت بذاكرتك إلى الوراء يا خالد.

خالد: إنها أيام جميلة، ستعود في يوم ما بإذن الله، مارك لماذا أنت هنا؟

مارك: هههههه، أنا هنا من أجل اللقاء بك هل غيرت رأيك يا سيد خالد؟

خالد: لا.. لا، لا أقصد ذلك، لكن لماذا وُجدت على هذه الأرض؟ كيف كانت بداياتك كإنسان؟

مارك: أنا مخلوق متطور، هكذا تقول نظرية داروين، والتي تقول بأن الكائنات تنحدر من فصائل مشتركة متطورة، وتسمى نظرية النشوء والارتقاء، فمن يتكيف يستمر ومن لا يتكيف ينقرض.

خالد: وهل تصدق هذا الكلام يا دكتور مارك؟

مارك: بالتأكيد لا يا خالد، لكنني أردت أن أذكر لك بعض ما قالوا في ذلك، فالرب خلق الإنسان وأوجده، وتناقشنا سابقًا في هذا الأمر عندما تحدثنا عن الإلحاد.

خالد: بغض النظر عن هذه النظرية الباطلة، وكل ما قيل عنها، لنتحدث عن الإنسان، عن ذلك الكائن الذي يتميز عن من حوله بالعقل، لماذا أوجده الله؟ ولماذا هو هنا على هذه الأرض؟

مارك: الإنسان وجد على هذه الأرض ليعمرها، ويطورها، ويعيش بسلام مع من حوله في الوجود.

خالد: جيد، لكن حدثني، كيف لو تخلل هذا الاعمار أن ظَلم إنسان إنسانًا آخرًا دون أن يشعر أحد بذلك؟ ودون أن يترك دليلًا يدينه؟ كيف لو تسلط قوي على ضعيف؟

ثم لماذا لم يخلق الله جيلًا واحدًا تستمر بهم الحياة إلى ما لا نهاية؟ لماذا تنتهي حياة الإنسان نهاية حزينة بموته؟ لماذا لا يكرم على إعماره للأرض بأن يخلد فيها؟ فكيف يترك فجأة ما قام به من إعمار طوال سنين حياته؟

لماذا يا دكتور مارك الخير و الشر؟ لماذا لم يوجد الله خيرًا محضًا، ويكون الناس أنقياء في كل أرجاء المعمورة كالمدينة الفاضلة التي رسمها أفلاطون طالما أنه لا يوجد يومًا آخرًا؟

كل تلك الأمور وما يصيب الإنسان فيها على ماذا تدل يا دكتور مارك؟

إن الصراعات التي تحدث بين البشر لابد لها من نهاية، ولابد أن يسود العالم هدوءًا يومًا ما، سواءً هنا أو في أي مكان آخر، لابد أن ينتهي كل شيء، ولن يكون ذلك دون أن يأخذ كل ذي حق حقه.

إن الذي استطاع أن يوجد هذا العالم بهذا الإبداع لن يعجزه أبدا أن يوجد المدينة الفاضلة التي يسعد فيها الناس جميعًا على هذه الأرض.

إن الله الذي خلقني وخلقك جعل لنا هذه الأرض مقدمة لحياة أفضل.

والحياة الأفضل لن ينالها إلا من أجتهد لها، ولذلك وُجد الدين الذي عليه وبمنهجه يكون الجزاء.

ألا يكفيك كل ذلك يا دكتور مارك لتؤمن باليوم الآخر الذي جاء به الرسل؟ الذي انتهى به حديثنا في المرة الماضية؟

مارك: كيف نعرف أنهم رسل؟ هنالك الكثير من الناس ادعوا بأنهم كذلك، بل أن هنالك من أدعى بأنه الرب؟

خالد: من يدعي بأنه الرب فهذه قضية مفروغ من أمرها، فالرب هو من صنع كل شيء ويتحكم فيه، وقد حدثتك عن

قصة إبراهيم عليه السلام والنمرود، وكيف أن الرب لابد وأن يكون بيده تغيير الطبيعة والتصرف فيها، ثم كيف يأتي من لا يستطيع حتى أن يحمي نفسه من تغيرات الزمان كالمرض والشيخوخة ومن ثم الموت ثم يدعي الربوبية؟

أما من ادعي بأنه مبعوث من عند الرب أو أنه يملك مفاتيح الخير للناس فأمثال هؤلاء يُفضحوا من خلال أنفسهم، فهم في دعواهم يحاولون نصر أفكارهم وشهواتهم، وإن دعوا إلى الفضيلة في يوم ما، أو حاولوا إصلاح في أمر، فإن ذلك يعتريه نقص شديد لا يليق بالذي بعثهم إن كانوا صادقين، هذه من جهة.

ثم من جهة أخرى ليأتي مدعي الرسالة بمعجزة من عند الله الذي أرسله إن كان صادقًا، هكذا كان الناس يقولون للرسل، والله سبحانه وتعالى كان يؤيدهم بمعجزة في مجال يكون الناس في ذلك الوقت مبدعين فيه، حتى يعلموا أن هذه المعجزة فوق مستوى الخلق من الإبداع، ولذلك عَلِم السحرة في قصة موسى من أن الآيات التي مع موسى عليه السلام ليست بسحر فآمنوا، وعَلِم كفار مكة وشعرائهم وخطبائهم من أن القرآن الذي مع النبي محمد ﷺ ليس من كلام البشر، علموا ذلك في قرارة أنفسهم، وهذا المهم، ولكن ظاهرهم من جحد هذا الأمر تكبرًا.

مارك: لكن الرسل كُذبوا وحوربوا من البشر رغم كمال رسالتهم كما تقول، لماذا هذا الأمر؟ لماذا لم يكونوا أقوياء حتى تصل رسالتهم إلى من يريدون فيخافوا منهم؟ لماذا لم يؤيدهم الله بجيوش وينتصروا حتى يؤمن بهم كل البشر مباشرًة؟

خالد: تعلم جيدًا يا دكتور مارك من أن الدنيا فيها الخير والشر، فيها الباحث عن الحق وفيها المكابر، ولذلك يا دكتور مارك لو كان الخير ينتصر دائمًا لما كانت هنالك ابتلاءات ليُعرف الصادق من الكاذب.

إن الله سبحانه وتعالى يستطيع على ذلك، ولن يعجزه شيء، لكن الانتماء للدين والتمسك به لن يتحقق إلا في حالة القوة والضعف معًا.

لو كان الدين ينتصر في كل الميادين لسلك طريقه بعض الناس الذين لم يقتنعوا به و يقروه في داخل نفوسهم رغبة في تلك الانتصارات، ولنشأ جيل ضعيف قد يسقط في أبسط الابتلاءات، ولن يستطيع حماية الدين فضلًا عن تبليغه لبقية البشر.

إن هذا الدين بحاجة إلى أمة صابرة عاملة حتى يصل إلى المعمورة و يبقى، هل فهمت ذلك يا دكتور مارك.

مارك: نعم، نعم، لكن لماذا لا يؤمن اتباع عيسى بمحمد أو العكس، أو أن يترك كل فريق الآخر، ويكفوا عن اتهام ومحاربة بعضهم البعض؟

خالد: ذكرت لك سابقًا من أن الإيمان بموسى يقتضي الإيمان بعيسى عليهما السلام، و الإيمان بعيسى عليه السلام يقتضي الإيمان بمحمد ﷺ، ومن يؤمن بمحمد ﷺ لابد له من أن يؤمن بعيسى عليه السلام، وببقية الرسل، وعلى ذلك لو أن إنسانًا يسكن مكة ويتبع محمد ﷺ لكنه لا يؤمن بعيسى عليه السلام، ولو فعل ما فعل فلن يقبل الله منه، لأن عدم الإيمان بالرسول يعني عدم الإيمان بمن أرسله كما أخبرتك.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ولم يفرق بينهم، وخلق لكل فترة ما يلائمها من أحكام، مع اتفاقهم على هدف واحد هو عبادة الله وحده والكفر بالطاغوت، وأرسل رسلًا لكل فترة يوجهون الناس، وأنزل عليهم كتب فيها من التعاليم ما يناسب المرحلة التي هم فيها، ولذلك الإنسان في عهد موسى عليه السلام أرسل الله له ما يناسبه في تلك المرحلة، ولو عاش ذلك الإنسان إلى اليوم فلن تناسبه إلا شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن شريعة محمد ﷺ هي ما يناسب العالم في هذا الوقت، ولو فكر الإنسان قليلًا لتتبع الله حيث يأمره، لأن الله هو من يحدد ما يكون في هذا الزمان، ودام أن الإنسان رضي بالله ربًا من بداية الأمر وآمن بنبيه سواءً كان موسى

عليه السلام أو عيسى عليه السلام يجب عليه أن يكمل المسيرة ويؤمن بمحمد ﷺ حتى يتحقق تسليمه لربه حيث أمره، وليعلم ذلك الإنسان أن الرسل جاءوا بشيء واحد لا أشياء مختلفة، فلم نختلف عليهم؟

إن الحسد يا دكتور مارك هو الذي جعل اليهود لا يؤمنون بمحمد ﷺ، ولذلك واصلوا انتهاج منهج الضلال الذي ابتدعوه لأنفسهم، لأنهم انتظروا أن يخرج من بين أظهرهم، لكنه جاء من جزيرة العرب فكان الصراع، رغم أن منهم من يوقن بأنه النبي الحق.

إنه ابتلاء لهم و لغيرهم ليرى سبحانه ثباتهم على الحق، بل حتى النصارى حادوا عن منهج الحق واختلقوا لأنفسهم مسارًا بعيدًا عن المنهج الصحيح، والذي كان لا بد لهم أن يواصلوا المسير عليه بعد عيسى عليه السلام.

مارك: كلام رائع فلن يتحقق التسليم للرب بدون الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الرب، لأنهم يحملون أوامر تناسب المرحلة التي هم فيها، وأن هدفهم جميعًا كان هدفًا واحدًا، إنها قضية التسليم لرب العالمين وليست قضية التعصب لأمة.

خالد: نعم، ولو عدنا وسلمنا أمرنا لرب العالمين لكان كل من في الأرض مسلمين، ثم أن عيسى عليه السلام عندما ينزل

في آخر الزمان سيحكم بشريعة محمد ﷺ، بالقرآن الكريم، لا بأي كتاب آخر، لأنها الشريعة التي تناسب تلك المرحلة، فهو عليه السلام وهو النبي لن يفعل إلا ما يناسب الناس بأمر الله، لأنه يريد تحقيق المقصود وهو تنفيذ أوامر الله واتباعها وتحقيق عبادة الله سبحانه على هذه الأرض.

مارك: كلام رائع لم أسمعه من قبل، و لم أكن أفهمه رغم أنني متخصص في التاريخ ، كنت أظن بأن الأديان السماوية حالها كحال الإنتماء إلى البلدان، كل إنسان ينتمي للدين الذي يريد، ويكفيه أن دينه سماويًا حتى يكون على حق، وعليه أن يحترم الدين الآخر ويتعايش معه، ولذلك كنت ألوم من لا يحترم دين الآخر، لكن لماذا لا تصلون إلى نتيجة واحدة وحل وسط، وتتفقوا كأديان سماوية لتجتمعوا على كلمة واحدة، وتتعايشوا في سلام دام أن جميعكم في النهاية يعترف بوجود الرب، وليهدأ الصراع على أقل الأحوال؟

خالد: سأسألك سؤالًا يا دكتور مارك.

مارك: تفضل يا سيد خالد.

خالد: إلى من تعود الأديان السماوية كما تقول أنت؟

مارك: إلى الرب.

خالد: إذًا من يحدد ماذا نتبع نحن أم من أوجدها؟

مارك: بالتأكيد من أوجدها.

خالد: وهذا الذي كان، إن الله عز و جل أراد للإسلام أن يكون على هذه الأرض، وقد أخبرتك سابقًا بأن كل نبي جاء بالإسلام وإن اختلفت شريعته والأحكام التي فيها، فالهدف كان واحدًا وهو عبادة الله وحده والكفر بالطاغوت، وأن مقتضى الإيمان بالله الذي اتفق عليه جميع الرسل هو أن نؤمن بكل أمر يقوله الله أو يحدثه ويرسل له رسل، فكما آمنا بموسى أو عيسى عليهما السلام يوم أن أرسلهما الله لنا نؤمن كذلك بكل رسول أرسله لنا بعد ذلك، وهنا نقول أنه لا ينبغي أبدًا ولا فائدة من الحوار أو التقارب بين الأديان دام أن الله قد قرر ما يكون، بل أن الأمر هنا لابد أن يكون بالدعوة إلى اجتماع الكلمة على دين الله و الذي هو الإسلام.

ثم لو قلت لي أن كل دين منفصل بعقيدة خاصة به وتريد أن يحدث نقاش أو اتفاق بين الأديان سأقول لك بأننا سنناقشكم بالذي عندنا وأنتم ماذا عندكم؟

أين كتبكم التي سترجعون إليها وأنتم تعترفون بأنها فقدت مئات السنين؟ وأنها حرفت؟ وهنالك من أعاد صياغتها؟ فهل نعتمد القرآن المحفوظ من الله والذي لم يذكر أبناءه أنه حرف، بل هم مجمعون على عدم تحريفه، أم كتبكم التي تقرون بأنها حرفت وأعيد صياغتها؟ هذا إذا كنتم تقرون بصحة ديننا، أما لو كنتم لا تؤمنون بصحة ديننا فكيف

تطلبون محاورة من ترون أنه باطل؟ كيف نجتمع على كلمة وأنتم تقرون على أن من يجلس أمامكم هو الباطل، ومفهوم الحق والباطل لا يقبل أنصاف الحلول؟

ثم لو تركنا كل ذلك بحجة تحقيق الهدوء وعدم الصراع كما تقول فإن هذا الهدوء سيسهل للباطل بأن ينتفش وينتشر، وبالتالي يزين لكثير من الناس ويغريهم بالانتماء إليه، لأنه لا يوجد من ينكر عليهم ذلك الباطل فيُخدعون به، وهذا ظلم لهم، بل هو ظلم للأرض التي لا بد بأن تستنير بنور الحق، والحق ليس له إلا طريق واحد كما اتفقنا.

مارك: صحيح يا سيد خالد لكن الرب ذكر لنبيكم بأنه لو كان في شك من دينه فليسأل اليهود والنصارى أهل الكتاب، وهذا اعتراف من الرب بالأديان، وبحقيقتها، وبصدق الكتب، وبالتالي الرجوع إليها عند الحاجة.

خالد: الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾[1]**﴾ ليس معنى الآية أن النبي ﷺ جاءه شك، حاشاه ﷺ، لكن معناها: يا محمد لو شككت في نبوتك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب وهم أهل العلم الصادقين منهم، لأن السؤال هنا أو في أي مكان لا**

[1] سورة يونس آية 94 .

يوجه إلا لأهل العلم الصادقين، وليس لأي أحد، مثل عبدالله بن سلام رضي الله عنه، والذي كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه، لأنه عرف الحق فآمن بالنبي ﷺ، وهذا الذي ينبغي عليهم عندما بُعث عليه الصلاة والسلام أن يتبعوه دام أنهم صادقين في التمسك بالحق، وبهذا يُعرف الصادق منهم بأنه يتبع الحق أيًا كان، ونحن لا ننكر التوراة أو الإنجيل أو أي كتاب سماوي، ولا يجوز لنا ذلك، ولن يتحقق إيمان لمن يكفر بهذه الكتب، لكنها حرفت، وقد تكلمنا في ذلك، فكيف لنا الآن أن نعرف الصحيح منها أو المتبع منكم للحق بتجرد أيًا كان موضعه في ظل محاربتكم لذلك الحق وإنكاره، وهذه الآية حجة عليكم وليست لكم إن كنتم تريدون الاستدلال بها دون أن تغيروا رأيكم بعد ذلك، لأنها تثبت بأن النبي محمد ﷺ قد جاء من عند الله بالحق، وأن كتبكم ذكرت ذلك الحق، وعلى ذلك فما عند الله هو منهج واحد متصل في كل الكتب، ولذلك ينبغى متابعة ذلك الحق، فلم لا تتبعوه؟

ثم قد جاءت آية أخرى في نفس السورة تؤكد لجميع الناس بأن يكونوا مؤمنين وأن الطريق واحد هو طريق الحنيفية وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّـهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[1] **فلماذا تناقشون في الآية السابقة وتتركون ما بعدها؟**

مارك: الآن فهمت يا سيد خالد، جميل هو كلامك.

خالد: ليس هو كلامي لكنه الحق الذي لابد له أن يكون، يبدو أنك تريدني أن أجوع كثيرًا إلى أن ينفذ السمك الطازج من السوق.

مارك: لا.. لا، يوجد الكثير من السمك هنا لا تخف، هيا بنا.

كان يوما جميلًا جدًا بالنسبة للدكتور مارك، لقد فهم حقيقة الأديان، وأنه لا يستقيم إلا دين واحد على هذه الأرض.

دين واحد لأن الإله واحد.

حوار بدأ يقلب أمورًا كثيرة عند الدكتور مارك.

حوار جعل من الدكتور مارك يأتي لمحل العم خالد يوم الأربعاء دون أن ينتظر إجازة آخر الأسبوع للالتقاء في حديقة قولدن قيت.

[1] سورة يونس آية 104 – 105 .

مارك: كيف حالك يا سيد خالد؟

خالد: أهلًا دكتور مارك، بخير والحمدلله، مالذي جاء بك في هذا الوقت؟ أليس من المفترض أن تكون في الجامعة؟

مارك: نعم يا خالد لكنني زرت معرضًا دوليًا قريبًا من هنا له علاقة بالجامعة، وانتهيت منه مبكرًا فوجدتها فرصة سانحة للمرور عليك.

خالد: تفضل طبقًا من الكنافة، إنك تحبه كثيرًا.

مارك: شكرًا لك، لكنني لن أدفع حسابه، هههه.

خالد: لا تخف، كل وأنت مطمئنًا.

مارك: كنا تحدثنا سابقًا يا سيد خالد عن الإسلام والديانات، وعرفت منك أن الإسلام هو الدين الذي أراده الله للناس جميعًا، أين دوركم كمسلمين في نشره؟ نبيكم محمد كان في جزيرة العرب في مكة ولم يعلم عن صدق رسالته من هو خارجها إلا القليل، كيف يكون دينًا عالميًا وهو محصور في تلك المنطقة فقط؟

خالد: إن الله سبحانه يا دكتور مارك أرسل الرسل إلى أقوام مخصوصين ليبينوا لهم الدين، فكان كل رسول يذهب إلى

أرض القوم أنفسهم فيبلغهم رسالته ويدعوهم، وعندما أراد الله سبحانه أن يبعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة جعل انطلاقته من مكة .

من البيت المعظم، والملتقى الديني للناس.

من مركز الأرض.

لم تشهد مكة أن بُعث منها رسولٌ من قبل.

أعده الله سبحانه وتعالى لذلك من قبل أن يكون نبيًا، فكان يوصف بالصادق الأمين.

وبعد أن بدأ دعوته في مكة آمن به قلة وكانوا من بسطاء القوم، فحوربت هذه الثلة البسيطة ولكنها ثبتت، أتعرف لماذا ثبتت يا دكتور مارك؟

مارك: لماذا؟

خالد: لأنهم آمنوا به عن اقتناع وتصديق، ولذلك ثبتوا على هذا الدين، وتمسكوا به، وقد تحدثنا سابقًا عندما تكلمنا في مسألة الرسل من أن دينهم يتعرض لابتلاءات، وذكرت لك حينها بأنه من أسباب ذلك حتى لا يدخل فيه إلا الصادقين، لأنهم يؤمنون بصدقه وحقيقته دون أي شيء آخر، فينتسبون إليه عن قناعة، ويستقر في قلوبهم، وينشأ لأجل ذلك جيل من المسلمين محب لهذا الدين، صادق وباذل له،

فيتولون مهمة نشره، ولذلك تحققت على أيديهم الغاية التي أرادها الله سبحانه وتعالى وهيئها لهم، فكانت مكة هي الانطلاقة، وهي البداية لهذا الدين حتى وصل إلى كل العالم ومن بينها هنا.. سان فرانسيسكو.

مارك: سان فرانسيسكو! حدثني عن عالمية هذا الدين، و عن كيفية خروجه ووصوله من مكة إلى هنا في سان فرانسيسكو؟

خالد: بدأ نبينا محمد ﷺ دعوته في مكة بعد أن أمره الله بذلك عن طريق جبريل عليه السلام، و لم يكن الطريق سهلًا أبدًا.

لم يكن أبدًا مفروشًا بالورود، حتى أن البيئة المحيطة بالنبي محمد ﷺ لم يكن لديها استعداد لتقبل مثل هذا الأمر، رغم إيمانها بأنه عليه الصلاة والسلام رجلًا أمينًا وصادقًا لأنها كانت تعتقد أنه من العار أن تبدل آله آبائها وأجدادها بأي شيء آخر، ورغم ذلك بدأ محمد صلى الله عليه و سلم في تبليغ أمر ربه.

بدأ بأسرته، وبأقرب أصدقائه، وبالأقربين من حوله.

كانت الدعوة سرًا في بداية الأمر.

أسلم الكثير ممن حوله عليه الصلاة والسلام، لكن أغلبهم كانوا من الضعفاء والبسطاء، فأستمر على ذلك ثلاث سنوات

إلى أن أمره الله سبحانه بالجهر بالدعوة، فقام على جبل الصفا بمكة معلنًا عبادة الله وحدة سبحانه، وأنه رسول من رب العالمين، وهنا بدأت المعاناة.

بدأت معاناته عليه الصلاة والسلام مع كفار مكة، حيث أنهم لم يؤمنوا به عندما صدع بدعوته، بل آذوه وآذوا من آمن معه ودخل في هذا الدين.

معاناة شديدة وعهد جديد من الألم يتجرعها أصحابه رجالًا ونساءً، حيث قام كفار مكة بربطهم ورميهم على الرمال وقت الظهيرة في شدة الحر، بل وصل ببعضهم إلى تعذيبهم بالضرب، وحرمانهم من الأكل والشراب، بل وحتى قتلهم.

معاناة واضطهاد واستخدام لكافة أنواع التعذيب.

معاناة وجدوها وسيجدها كل من يسير في طريق الدعوة وتبليغ الدين الحق لإعلاء كلمة الله، لأنها الضريبة التي لا بد لها وأن تدفع.

معاناة لأن هنالك من لا يعجبه ذلك الحق، ولذلك سيحاربه بكافة صوره.

رغم ذلك صبرت تلك الفئة، وتحملت، ولم تأبه للمنغصات، لأنه لولا وجودها لشكوا في صحة الطريق، ولخافوا من

نهايته لأنه طريق الأولين الذين ساروا في نفس تضاريسه القاسية.

لم تكن القضية يا دكتور مارك بالنسبة لتلك الفئة هي طاعة عمياء، أو انتماء جاهلي مبني على عصبية لأمر ما، لا أبدًا، بل كان إيمانًا صادقًا بأن هذا هو الحق، والحق هنا ليس فقط في أنه يدعو لمكارم الأخلاق، بل في توجيه القلب والعقل التوجيه الصحيح لكل ما حوله من أمور عن حقيقة الدنيا والغرض من الوجود على هذه الأرض.

إنها عقول فهمت كل ذلك فصبرت.

استمر صبرهم إلى أن جاء الأمر بالهجرة إلى الحبشة، حيث رأى النبي ﷺ بذهاب مجموعة من المسلمين المضطهدين إلى هناك حتى يحافظ عليهم، واختار لهم الحبشة لأن ملكها لا يُظلم عنده أحد، فهاجر بعضهم إلى هناك، وبقي البعض الآخر مع رسول الله ﷺ يعاني ويصبر.

مارك: ولماذا لم يهاجر محمد مع أصحابه إلى الحبشة؟

خالد: كان عليه أن يبقى رغم الصعاب من أجل دعوة الناس، خاصة وأن مكة تفد إليها القبائل لزيارة البيت الحرام.

مارك: طالما أن القبائل كانت تفد إلى مكة من قبل أن يأتي محمد، معنى ذلك أنهم كانوا يؤمنون بالرب، فلماذا إذًا جاء محمد؟

خالد: نعم، كان منهم من يؤمن بوجود الله، لكنهم كانوا يشركون معه آلهة أخرى، وكانوا يجعلون وسطاء يقربونهم إلى الله، وغير ذلك من صور الشرك، والله سبحانه أراد تنقية هذه القلوب وإفراده بالعبادة، لإنها دعوة لإقامة حكم الله بكافة أشكاله على هذه الأرض.

مارك: ماذا عن الذين ذهبوا إلى الحبشة؟

خالد: التقوا بملك الحبشة، وقد كان على دين عيسى عليه السلام، فأكرمهم وأحسن مقامهم.

مارك: وهل رضي عن ذلك أهل مكة؟

خالد: لا، لم يرضوا بهذا الأمر، فقد ذهب وفد منهم إلى ملك الحبشة ومعهم الهدايا يريدون أن يرد لهم أبناء عمومتهم، فرفض ملك الحبشة ذلك، لكنهم أغروه بأن أبناء عمومتهم يقولون في عيسى عليه السلام قولًا سيئًا فكان أن حدث أمرًا مهمًا.

مارك: وما هو ذلك الأمر، وكيف تصرف هذا الملك مع المسلمين الجدد تجاه ما يقولونه في عيسى؟

خالد: غضب ملك الحبشة من هذا الأمر، وكيف لايغضب وهو يؤمن بعيسى عليه السلام، ولا يريد من أحد أن يسيء إليه بأي شكل كان، لكنه كان حكيمًا أيضًا، فأراد من المسلمين أن يجتمعوا إليه ليسمع منهم ما يقولونه في عيسى عليه السلام.

مارك: وماذا حدث بعد ذلك؟

خالد: حدث أن وصل الخبر إلى المسلمين فاجتمعوا فيما بينهم ليحددوا ما سيقولونه لملك الحبشة، وكانوا في حالة هلع، كيف لا وهم سيقفون في موضع إما أن توافق إجاباتهم كمسلمين ما يتوافق مع ملك الحبشة؛ أو أن يحدث غير ذلك فيؤسروا ويقادوا إلى مكة، لكنهم قرروا بعد أن اتفقوا جميعًا على أن يقولوا في عيسى عليه السلام ما يقول الإسلام فيه، وما علمهم إياه نبيهم محمد ﷺ، فدخلوا على النجاشي ملك الحبشة: ومباشرة ودون مقدمات سألهم: ما تقولون في عيسى؟

فأجاب جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بأنهم يقولون فيه الذي جاء به نبيهم محمد ﷺ، بأنه عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول العذراء.

كان هذا جوابهم.

كان ذلك جوابًا شافيًا، فيه رفعة لعيسى عليه السلام، ولم يخرجوه من كونه عبدًا لله، وأثبتوا أنه رسول الله، وعظموا الجواب في شأن مريم عليها السلام وأثبتوا طهرها.

مارك: وكيف كانت ردة فعل الملك؟

خالد: أعجب ملك الحبشة إعجابًا شديدًا بالإجابة، وأخذ بيده عودًا من الأرض لا يكاد يرى، ونظر إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والمسلمين الذين معه وقال: ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فأكرمهم، وأحسن إليهم، ورد على أهل مكة هداياهم، واستقرت الأمور، بل زيادة على ذلك أسلم النجاشي، فكانت الانطلاقة لتبليغ الدين خارج مكة.

مارك: أأسلم الملك النصراني!

خالد: نعم أسلم، ولم العجب طالما أنه عرف الحق وعلم من أمر عيسى عليه السلام عند النبي محمد ﷺ.

علم أن ما جاء به النبي محمد ﷺ هو مواصلة لما جاء به من قبله من أنبياء، وأن المرِسل واحد، هو الله عز وجل.

أسلم لأنه لم يرد أن يرتكب غلطة اليهود يوم أن كفروا بعيسى عليه السلام وقالوا فيه الأقاويل، وقد كانوا مطالبين بالإيمان به كما آمنوا بموسى عليه السلام من قبل، فاتبعوا

أهوائهم على مراد الله سبحانه، ففضل النجاشي أن يؤمن بمحمد ﷺ.

آمن لأنه عرف الحق، والحق أحق أن يتبع.

آمن لأنه يعلم أن هذه الدنيا فانية، ولن يفيده استكباره عن قبول الحق في شيء.

آمن وحسن إيمانه رحمه الله.

آه.. لقد حان الآن موعد صلاة الظهر.

لابد لي بأن أذهب للصلاة، ما رأيك بأن تتناول معي طعام الغداء في منزلي؟

مارك: شكراً لك، لابد لي أن أعود أنا أيضًا إلى منزلي.

لنلتقي نهاية هذا الأسبوع في حديقة قولدن قيت على موعدنا.

خالد: حسنًا، اتفقنا.

كانت قصة إسلام ملك الحبشة مهمة جدًا لمارك، حيث أنها بينت له أن الإنسان طالما أنه يعبد الرب الذي أوجده، وأنه مؤمن برسوله الذي جاء إليه من ربه، فلابد له بأن ينفذ ويؤمن بما يطلبه الرب منه، وإن أرسل له رسولًا آخرًا.

إنها قصة يتأملها كلما انفرد بنفسه، فتزيده تشوقًا للقائه بخالد في القولدن قيت.

وجاءت عطلة نهاية الأسبوع بصباح جميل كجمال حديقة قولدن قيت.

خالد: مارك.. مارك أنا هنا.

مارك: آه يا خالد، كنت أظنك ستأتي من هذا الاتجاه.

خالد: لنجلس هنا، ما رأيك؟

مارك: مكان رائع.

خالد: هل تريد كوبًا من القهوة؟

مارك: لا بل أريدك أن تكمل لي كيف سارت رحلة محمد في مكة.

خالد: هكذا سريعًا! لا بأس.

تتابع الأذى عليه وعلى أصحابه، خاصة بعد أن وجد كفار مكة صدودًا من ملك الحبشة كما تحدثنا عن ذلك سابقًا، حتى أنهم قاموا بحبس المسلمين في أحد الشعاب في مكة ومحاصرتهم ومنع وصول الطعام إليهم مدة ثلاث سنوات، حتى أنهم أصبحوا يأكلون من ورق الشجر، إلى أن تدخل بعض رجالات مكة وأوقفوا ذلك الأمر.

و رغم ذلك يزداد عدد المسلمين من قبل ومن بعد، خاصة بعد أن أسلم أثنين من أشجع أهل مكة، وهما حمزة بن عبدالمطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقد زاد ذلك من قوة المسلمين.

استمر على ذلك نبينا محمد ﷺ في دعوته، وفي صبره هو وأصحابه رضوان الله عليهم، يجهرون ويصدعون بالدعوة، واستمروا على ذلك عشر سنوات.

عشر سنوات بالإضافة للثلاث سنوات التي كانت الدعوة فيها سرًا.

ثلاث عشرة سنة من الألم والمعاناة والتضحيات، أبلى فيها المسلمون خير البلاء، وتتابع القرآن ينزل عليهم، يصبرهم ويشد من أزرهم، ويقوي عقيدتهم، ويسرد لهم قصص السابقين، ويذكرهم بالنعيم المقيم في جنات عدن، ليزدادوا ثباتًا ، ومحاجًا ونذيرًا للكافرين.

مارك: وماذا حدث بعد ذلك؟

خالد: جاءه عليه الصلاة والسلام وفد من المدينة، فاتفق معهم على أن يهاجر إليهم هو والذين آمنوا معه، على أن يساندوه ويقفوا معه، حتى تقوى شوكة الإسلام ، وكان ذلك، فأرسل معهم في بداية الأمر مصعب بن عمير رضي الله عنه

ليعلمهم أمور الدين، ثم هاجر المسلمون سرًا، فرادى وجماعات.

هاجروا وتركوا مكة، حيث الموطن والأرض.

حيث الذكريات والنشأة.

هاجروا والحزن بادي عليهم من ترك كل ذلك، لكن كان لابد من ذلك.

لابد من ذلك حتى يستطيعوا بناء دولة الإسلام، ليعم نفعها أرجاء المعمورة، وبداية بمكة التي خرجوا منها بعد أن تزودوا بزاد العقيدة والصبر.

إنها التضحية من أجل إيصال هذا الدين للبشرية.

استمروا بالهجرة إلى أن هاجر عليه الصلاة والسلام مع صاحبه أبي بكر إلى المدينة، وبدأ تأسيس دولة الإسلام.

مارك: وهل دخل جميع أهل المدينة في الإسلام؟

خالد: كان المجتمع في المدينة يتكون من قبائل عربية، وهم الأكثرية، وقبائل من اليهود، فالقبائل العربية دخل أغلبهم في الإسلام، وكثير من اليهود لم يدخلوا في هذا الدين.

مارك: وماذا فعل المسلمون؟

خالد: النبي ﷺ لم يكن يفكر في أن يكون هذا الدين محصورًا لفئة معينة، أولجماعة معينة، ينجون بأنفسهم من الدنيا، ويفوزون بالآخرة.. لا.

النبي ﷺ يريد أن تصل رسالته إلى كل أرجاء العالم، وكافة طوائف المجتمعات.

لم تكن رسالته ﷺ محلية، بل عالمية كما ذكرت لك ذلك سابقًا، وهذا ما أريد أن أوصله إليك، ولذلك كان يفكر في إقامة الأرض التي يقوم عليها الدين، وينطلق منها، فبدأ من مكة، ثم انتقل إلى المدينة من أجل تحقيق ذلك، فأراد أن تستقر أمور المسلمين أولًا حتى يواصل تبليغ هذا الدين.

وبصفته القائد العام الجديد للمدينة لم يشأ أن تكون بها اضطرابات، فعقد اتفاقًا مع اليهود، و ذلك مع الذين لم يؤمنوا به على حماية المدينة.

مارك: ألم يقل محمد أخرجوا اليهود من جزيرة العرب؟

خالد: نعم، قال ذلك، لكن هذا الأمر حدث قبل أن يأمر بذلك، إن أحكام الشريعة الإسلامية يا دكتور مارك لم تأتي دفعة واحدة بل حسب الأحداث، ولذلك النبي ﷺ لم يطردهم من المدينة في ذلك الحين، حتى لا يظلمهم، لأنه عليه الصلاة والسلام كان في فترة بداية وصوله للمدينة، وبحاجة إلى أن يبلغهم رسالته، ويدعوهم، وبالتالي كان يمني نفسه عليه

الصلاة والسلام بأن يسلموا ويدخلوا في هذا الدين، لأنه رسول للناس كافة، ليس هنالك فرق بين عرق وعرق، بل هي أمة واحدة، أمة محمدية، لأنها عاشت في عصره عليه الصلاة والسلام، وما بعد ذلك، لأنه خاتم الرسل، أما بعد أن كادوا بالمسلمين وزاد خطرهم على المجتمع؛ أجلاهم صلى الله عليه وسلم حتى يحافظ على ذلك المجتمع ويقويه، فاستطاع عليه الصلاة والسلام بذلك من تكوين مجتمع مسلم قوي في المدينة، بعد أن كانت الحروب والشعارات الجاهلية هي سيدة الموقف فيها.

وبعد أن استقر نبينا محمد صلى الله عليه سلم في المدينة وبنى فيها مسجده كمركز للدعوة ومرجعية إسلامية، بدأت تنزل آيات الأحكام وتعليم شرائع الدين، بعد أن كان الإسلام يحرص على العقيدة وتربية النفس في مكة كما ذكرنا ذلك سابقًا، واستمر عليه الصلاة السلام في بيان أحكام الدين ودعوة الناس للإسلام، ووسط هذه الظروف كان أهل الباطل يتربصون بدولة الإسلام الناشئة من أجل ألا تستمر، فكان لابد من مواجهة الباطل من مشركي مكة، وبعض القبائل المحيطة بالمدينة الذين ما رضوا لهذا الدين أن يبقى وينتشر، بل حتى من اليهود كما ذكرنا، والذين خانوا اتفاقهم مع النبي ﷺ، فحارب المشركين عليه الصلاة والسلام، وأجلى اليهود من المدينة، وحاصرهم، بل وقتل الخونة منهم، حتى يتم استقرار المدينة، ولم يبقى فيها إلا المنافقين.

مارك: ومن هم المنافقون يا سيد خالد؟

خالد: هم الذين كانوا مع النبي ﷺ في المدينة، لكنهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

مارك: ولماذا يجبرون على فعل ذلك، هل الإسلام حارب حريتهم في اتخاذ القرار بالإسلام عندما جاء إلى المدينة؟ أين أنتم من قول ربكم: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[1]؟**

خالد: الإسلام لم يجبرهم عليه يا دكتور مارك، والنبي صلى الله عليه وسلم كانت دعوته لهم لهذا الدين بتعريفهم على ربهم وبيان الحق لهم، فإن أسلموا كما ذكرت لك فهذا خير، وإن لم يسلموا فإنهم سيعيشون تحت ظل الإسلام، لهم حقوق وعليهم واجبات، وهذا ما يفعله الإسلام مع الكفار الذين يقيمون على أراضيه، لكنهم أظهروا أنهم مسلمون لمصالحهم الشخصية فقط، وهذه مشكلتهم هم، ثم أن ما تقوله من أنه من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ فليست هذه الآية لتقرير مبدأ الاختيار، وإلا لكان من اختار الكفر غير مستحق للعقوبة، لأن الله أمره بالاختيار، لكن لو أكملت الآية لعلمت أنها للتهديد والوعيد، لأن إكمال الآية يبين لنا أن من

[1] سورة الكهف آية 29 .

اختار الكفر ستكون النار من نصيبه ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[1].

لتعلم يا دكتور مارك من أن الإسلام لا يحارب الحرية الشخصية للإنسان أبدًا، بل أن الإسلام ما جاء للعالم إلا من أجل إنقاذ الإنسان وتحريره وإخراجه من تبعية وقيود مخلوقين أيًا كان مركزهم، إلى إفراد الله بالتبعية، ولا تبعية إلا لسواه سبحانه.

إنك يا دكتور مارك لو وجدت إنسانًا في وسط البحر يغرق فإنك في هذه الحالة مطالب بإنقاذه ورمي سترة النجاة له؛ حتى يتعلق بها، ولا يعتبر ما فعلت تدخلًا في حريته، فإن رفض ذلك فإنك مطالب بأن تبين له خطر هذا الأمر، وأن ما يفعله قد يؤدي به إلى الموت، فإن رفض حتى الإستماع إليك وأصر على الموت فهو يتحمل نتيجة تصرفه هذا، أما أنت لو لم تفعل معه كل ذلك للامك من حولك على عدم تدخلك لإنقاذ حياته.

إن العالم من حولنا يا دكتور مارك يدعي بأن الإسلام دين يحارب حريات الناس ذكورًا وإناثًا، ولو تأملت في كل حكم من أحكام هذا الدين أو أمر من أوامره لعلمت أنها من أجل

[1] سورة الكهف آية 29 .

الإنسان وللإنسان، ولو لم تتبين لك هذه الحكمة فيكفيك أن تعلم أن من خلق الإنسان هو أعلم به وبما ينفعه.

مارك: ولماذا لا يحارب المنافقين دام أنه عرف حقيقتهم؟

خالد: لأنه ﷺ لو فعل ذلك لقالوا أن محمداً يقتل أصحابه، لأن الناس لا تعرف عنهم إلا الإسلام.

إنها يا دكتور مارك أحداث تحتاج إلى رجل متمرس في إدارة الأمور، وقادر على حماية دولته حتى يستطيع أن يحافظ عليها، وبالتالي يتفرغ لتبليغ هذا الدين، وهكذا كان عليه الصلاة والسلام.

إنه عليه الصلاة والسلام استشعر أنه في رحلة يتحتم عليه فيها أن يجتهد لتصل رسالته إلى أصقاع الدنيا، ولذلك ومع كل هذه المشاغل والأحداث التي ذكرناها حرص عليه الصلاة والسلام على مستقبل الإسلام لتبليغ هذا الدين.

حرص على أن يعد جيلًا من الصحابة رضوان الله عليهم ليواصلوا رحلته في تبليغ الرسالة، لأنه عليه الصلاة والسلام يعلم بأنه سيموت، لكن الدعوة لابد لها من أن تحيى لتحي من حولها.

علم ذلك فاجتهد في توجيه صحابته واستكشاف مواهبهم وتطويرها لخدمة الدين.

إنه الإنسان المسلم الذي أهتم به عليه الصلاة والسلام، وأعده الإعداد الصحيح لإيصال ذلك.

إنه الإنسان، فبه بعد توفيق الله له تقوم الأمم وتنتصر، وتحقق ما تريد، فكان بذلك أن حقق ﷺ ما يريد، فمن الله سبحانه وتعالى عليه بعد حروبه مع كفار مكة بفتحها، وجعل قبلة المسلمين والعالم مطهرة من الشرك.

نعم، حقق الله سبحانه وتعالى له ذلك فتفرغ بعد ذلك عليه الصلاة والسلام لدعوة قبائل الجزيرة من حوله، فأصبحت القبائل تتوافد إليه من كل صوب، معلنة دخولها في هذا الدين، وأصبحت الجزيرة بعد ذلك طاهرة منزهة من الشرك.

عندئذٍ بدأ تخطيطه عليه الصلاة والسلام لنشر الإسلام خارج الجزيرة العربية لبدء مرحلة جديدة في إيصال الرسالة وتبليغ هذا الدين، فكان أن جهز جيشًا بقيادة أحد الصحابة الشباب لغزو الروم هو أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه، لكنه مرض عليه الصلاة والسلام و مات في المدينة.

نعم، مات ﷺ فدته أرواحنا بعد أن نجح في تبليغ وبيان وتوضيح هذا الدين وأحكامه للناس، فأداها حق التأدية، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وتركها على محجة بيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، لكن الرحلة أبدًا لم تنتهي.

مارك: لم تنتهي بموته؟!

خالد: نعم يا دكتور مارك لم تنتهي الرحلة؛ لأنه كما ذكرت لك أعد عليه الصلاة والسلام جيلًا من الصحابة يواصلون تبليغ هذا الدين، وينشرونه في أرجاء المعمورة، حتى بعد موته، ثم تبعهم بعد ذلك أجيالًا من الصادقين، علماء ومجاهدين، بل وحتى أفرادًا لأنه لابد للدعوة من أن تُحيَى لتُحيِ العالم من حولها، فاستمر على ذلك خليفته أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله تعالى عنهم، فبلغ الإسلام أواسط آسيا وأجزاء كبيرة من إفريقيا في سنوات معدودة، ومن بعدهم استمرت مسيرة الدولة الإسلامية في نشر هذا الدين عن طريق الفتوحات الإسلامية لجيوش المسلمين، وأيضًا كذلك عن طريق التجار المسلمين الذين ذهبوا للتجارة في بلدان العالم المختلفة، فكانوا خير سفراء لهذا الدين، ولذلك أذهلوا من ذهبوا إليهم بأخلاقهم وحسن تعاملاتهم، فبلغ الإسلام أوروبا بعد أن وصل الصين وأجزاء كبيرة من إفريقيا.

مارك: كل تلك المساحات؟!

خالد: نعم، وحتى تعلم أن هذا الدين تكفل الله سبحانه وتعالى بإيصاله للبشرية، فبلغ هذا الدين أقاصي الدنيا بفضل الله سبحانه، وما أنا أمامك هنا ومناقشتي معك إلا لتحقيق إيصال

هذا الدين عن طريق وجود بعضنا هنا اختيارًا أو حتى اضطرارًا.

إنها حكمة الله ومراده يا دكتور مارك.

مارك: ما ذكرته أمر رائع يا سيد خالد، لكنكم استخدمتم القسوة والقتل في تبليغ هذا الدين حتى وصل لكل هذه المسافات.

خالد: كيف حكمت بذلك؟

أريدك أن تعلم أمرًا مهمًا يا دكتور مارك؛ وهو أن هذا الدين ما وُجد إلا رحمةً للإنسان أيًا كان جنسه أو لونه، بل وحتى للجان، وقد تحدثنا سابقًا كيف أن الإنسان يريد أن يتبع هواه؛ والهوى دائمًا يميل إلى عدم الاستجابة إلى الأوامر، وهذه الرحمة يا دكتور مارك والتي جاء بها الإسلام لإنقاذ الإنسان من عذاب الآخرة إلى جنة الخلد قد لا يتفق معها هوى الإنسان؛ وبالتالي قد لا يستجيب لها الإنسان؛ وهذا الدين الذي جاء رحمة للإنسان إن لم يكن قويًا في تهيئة الأجواء للتبليغ لما ستطاع من الوصول للإنسان؛ و بالتالي الإيمان به وترك هواه، ولكان الهوى سببًا في هلاكه في اليوم الآخر، ولو تأملنا في سيرة النبي ﷺ لوجدنا أن الكثير هم الأعداء الذين كانوا يتربصون به عليه الصلاة و السلام ولا يريدون لدعوته أن تنجح منذ أن كان بمكة كما أخبرتك

سابقًا، وحتى عندما استقر بالمدينة أخذ اليهود يكيدون له رغم أنه عقد معهم اتفاقًا، وقد تحدثنا عن ذلك وكيف أن المنافقين كانوا يؤذونه خفية، كلها محيطات كانت تتربص بالإسلام لهدمه والإسلام يريد أن يعليهم.

هم لم يستجيبوا.

هم حاربوا وآذوا.

كان الهوى والتعصب واتباع الشيطان هو المسيطر عليهم فلم يستشعروا الرحمة التي أرادها لهم الإسلام فأرادوا أن يقضوا عليه، ولذلك حاول ﷺ دعوتهم وبيان هذا الدين، وأنه رسول لهم من رب العالمين لإنقاذهم من العذاب الأليم، لكنه ما وجد منهم إلا الصد، بل والمحاولة للقضاء على هذه الرحمة حتى تموت ولا تنتشر لبقية الناس في الأرض، وعند ذلك كان لا بد من القوة لتبليغ هذا الدين والدفاع عنه لأنه ليس هنالك مكان للضعفاء، ولن تستطيع أن تغير طالما أنك ضعيف.

لم تكن القوة للسطو ولفرد العضلات أو للانتقام.

أبدًا لم يكن الأمر كذلك يا دكتور مارك، وستعلم هنا كيف أن مفهوم القوة الذي أحدثك عنه ليس المقصود منه البطش والإلغاء.. لا.

كانت القوة هنا رحمة بهم.

مارك: قوة رحيمة؟!

خالد: نعم، ما كان عليه الصلاة والسلام يقاتلهم إلا من أجلهم.

كان نبينا محمد ﷺ يخرج مجاهدًا في سبيل الله وهو يؤمل في نفسه أن يمن الله عليه بالنصر، ليس انتقامًا ممن آذاه بل لرفعة الإسلام، وليمن الله على المشركين بالهداية، ولينقذهم من عذاب أليم، ولذلك ما إن يمن الله سبحانه وتعالى بالإيمان على طائفة ما فإنه عليه الصلاة والسلام يسعد بذلك.

يسعد بذلك رغم أنهم تفننوا في أذيته وشتمه في سابق الأيام، بل ويخرجون الآن لحربه ومواجهته.

يسعد بذلك لأنه هنا من أجلهم لا من أجل نفسه، ورغم ذلك لم تكن القوة هي أول الحلول لديه ﷺ، وتأمل معي دكتور مارك هذه القصة لتعرف مدى رحمة الإسلام، وأن القتال الذي تدعون بأنه قسوة ما هو إلا من أجل البشرية لبقاء الدين الذي يحي لهم الحياة الآخروية، تقول القصة أن النبي صلى الله عليه سلم عندما أراد أن يدعوا الغساسنة للإسلام أرسل لسيدهم رسالة مع الحارث بن عمير رضي الله تعالى عنه كعادته في دعوة القبائل للإسلام، لكنهم قتلوا الحارث بن عمير رضي الله عنه، فأرسل على إثر ذلك صلى الله عليه وسلم صحابته رضوان الله تعالى عليهم في غزوة تسمى غزوة مؤتة، وبعد أن أمر عليهم زيد بن حارثة رضي الله

تعالى عنه أوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ويدعوا الغساسنة للإسلام، فإن أبوا قاتلوهم وقال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا كبيرًا، ولا فانيًا، ولا منعزلًا، بصومعة ولا تقطعوا نخلًا، ولا شجرةً، ولا تهدموا بناءً).

لنتأمل تلك التوجيهات والنصائح التي يمليها ﷺ لمن يبعثهم.

لنتأمل كيف أنه عليه الصلاة والسلام بعث في أول الأمر برسول يدعوهم للإسلا، ولما قتلوه أرسل جيشًا وأوصى ذلك الجيش.

أوصى الجيش بكلمات..

تلك الكلمات التي لم ينساها ﷺ وهو يرسل جيشًا لمن غدروا برسوله.

لمن بالغوا في الطغيان.

تلك الكلمات التي رفقت بالطفل، والمرأة، والعابد، والشيخ، بل حتى الشجر، والبناء.

إنها كلمات لا يقولها من يبحث عن سلطان.

عن ملك أو سطوة.

إنها كلمات من محمد ﷺ لقائد مجاهد يذكره بأنه ما خرج إلا رحمة.

إنها توجيهات ونصائح تتتابع جيلًا بعد جيل، ومن قائد لآخر لنشر الإسلام وإنقاذ البشرية.

إنها مواقف تتكرر وتكررت يوم أن بعث خليفة المسلمين عمر بن عبدالعزيز جيوش المسلمين إلى آسيا شرقًا لفتح بلدانها ونشر الإسلام فيها، ففتحوا البلاد تلو البلاد حتى وصلوا سمرقند، فتوغلوا وفاجئوا أهلها ودخلوها فاتحين، فخاف الناس ودخلوا بيوتهم وهرب الرهبان، لكن أهل سمرقند ما لبثوا أن خرجوا من بيوتهم لممارسة حياتهم لأنهم لم يجدوا من المسلمين أي نوع من أنواع الأذى، خاصة بعد أن تشاجر مسلم مع سمرقندي فحكم قاضي المسلمين للسمرقندي، لكن الرهبان لم تعجبهم طريقة فتح المسلمين للبلد، فأرسلوا رسولًا منهم إلى خليفة المسلمين في دمشق يخبروه بالذي حدث من قائد المسلمين قتيبة بن مسلم، وكيف أنه دخل البلاد بطريقة جديدة ليست كفتوحات المسلمين المعتادة؛ وهي أنهم يطلبون أولًا من أهل البلد أحد ثلاثة أمور: إما الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، لكن قتيبة قائد المسلمين دخلها مباشرة دون أن يخير أهل سمرقند، فأرسل عمر بن عبد العزيز بورقة صغيرة مع هذا الرجل إلى قاضي سمرقند المسلم، فأخذ الورقة ومضى إلى سمرقند وهو يسأل

نفسه كيف ستفعل هذه الورقة الصغيرة أمام قوة قتيبة بن مسلم، لكن ما إن أعطى الورقة للقاضي فقرأها القاضي فإذا خليفة المسلمين يأمره بأن يحكم بين قتيبة بن مسلم وبين كهنة سمرقند، فأحضرهم القاضي أمامه، وأقر قتيبة بأنه دخل البلاد دون تخيير، عندها أمر القاضي بخروج جميع المسلمين كما دخلوها ليس معهم شيء حتى يخيروا أهل سمرقند أولًا.

نعم، حكم القاضي بذلك، وخرجت جيوش المسلمين، وتركوا لهم البلاد، فتعجب أهل سمرقند من ذلك الحدث العجيب الذي من المستحيل أن يحدث من أي قوة في العالم إلا لأنهم قوم حق وعدل، فدخلوا في الإسلام.

نعم دخلوا في الإسلام لأنهم عرفوا عدله ورحمته.

دخلوا في الإسلام وليعلم الجميع وليس أهل سمرقند فقط مدى رحمة الإسلام، ولتعلم أيضًا أن ما يشاع الآن من أن الإسلام دين خراب ودمار وقتل ما هي إلا مسميات أطلقوها ضمن حربهم على الإسلام وأهله لتنفير الناس عنه، لكراهية هذا الدين وإطفاء نوره، والله متم نوره.

إنها دعوة حق ورحمة، وسرايا تسير بمنهج الله، فليست هي نضال ماركسي أو عرقي، وليست هي حركة ثورية لتحقيق

مـآرب دنيويـة أو مطالـب شخصـية، وليسـت هـي مشـروع استعماري لاستعباد الناس.

هي سرايا لدعوة النـاس، ولعرض الإسلام عليهم وإخراجهم من الضلال الذي هم فيه، فإن رفضوا كل أمر أو حل يعرض عليهم فإن البراءة منهم ومواجهتهم بالقوة لابد منها.

لابد منها ليعلو الإسلام في كل أرجاء الأرض.

لابد منها لأجل أن لا يستمر باطل هذا الجيل، بل لابد من أن تأتي أجيالاً بعدهم تعيش تحت ظل الإسلام، وتستنير بنوره، فتؤمن به بطمأنينة، ودون أدنى موانع تعيق ذلك لتفوز بالآخرة الباقية وبرضى الله سبحانه، لا أن تكون تحت حكم الباطل فيضغط عليها وتبقى على جهلها.

لا بد منها لأنها لو لم تكن كذلك لقضى عليها الكفر، والواقع شاهد كيف أنهم اليوم يتربصون بالمسلمين يوم أن تركوا القوة التي يقيمون بها الدين، وينشرونه يرهبون بها أعداء الله.

إن الإجرام الحقيقي هو في محاربة ذلك النور وتلبيسه التهم، ومحاولة إطفاءه حتى لا يضيء للأرض، ويبقى الناس في ضلالاتهم يعمهون، وإن اختلفت المسميات والطرق في حربه.

إن الإسلام اليوم يجد الاضطهاد والتنكيل من ملل الكفر والنفاق في أرجاء المعمورة لأنهم شعروا بأنه المهيمن على قلوب الناس كدين حق وعدل، ووجدوا بأن الناس أصبحوا يجدون فيه أنفسهم، وشعروا بإنسانيتهم معه، فما كان من ملل الكفر والنفاق إلا أن اتهمت الإسلام وناصريه باتهامات، وألبسته المسميات التي تثير الناس عليه وعلى من يدافع عنه أو يدعوا إليه، بل حاربتهم، وأججت من حولهم في كل مكان حتى تقضي على الإسلام الصحيح بدعوى تحقيق السلام المزعوم، فكان لا بد من القوة كما أخبرتك في سياق حديثنا.

نعم، لابد من القوة والمواجهة بكل ما نملك دون تخاذل أو تهاون معهم من أجل حماية هذا الدين، والدفاع عن أراضي المسلمين، وتقديم التضحيات من أجل ذلك، ثم الانطلاق مرة أخرى لنشر ذلك النور ليضئ للبشرية.

إنني يا دكتور مارك أتمنى ألا تستمع لهؤلاء، ولا لغيرهم، و لو كنت محايدًا وعادلًا وأردت معرفة حقيقة منهج أهل الإسلام الناصرين لدينه فعليك بأخذه منهم، من ألسنتهم، ومن مبادئهم هم لا من أعدائهم، هل فهمت الآن يا دكتور مارك؟

مارك: نعم، لكن لماذا في بعض الأحيان يفتح المسلمون البلد ويكتفون بأخذ الجزية؟ لماذا لا يجبرونهم على الإسلام إذا كانوا فعلًا يريدون لهم الخير؟

خالد: إن المسلمين عندما يفتحون البلد فإنهم يحكمونها بحكم الله المطلوب تحقيقه على الأرض، لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الحكم كله لله، على المسلم والكافر، فيعيش الإنسان في ظل الإسلام، فلو كان الإنسان تحت حكم الرومان أو أي ملة من ملل الكفر؛ هل يستطيع أن يقرر بحرية وبدون منغصات دخول الإسلام وإنقاذ نفسه؟ الجواب لا لأنه سيجد الأذى أو التضييق في إقامته لشعائر الدين، وقد يقتل بسبب ذلك، لكن عندما يكون ذلك الإنسان تحت حكم الإسلام ويرى سماحة هذا الدين وشموليته، ويرغب بالدخول فيه فإنه حينها سيستطيع ذلك بدون خوف أو موانع.

لا تقول لي بأن الإنسان في بلاد الكفر يستطيع الدخول في الإسلام بحرية، ومن ثم إظهار شرائع هذا الدين بدون منغصات، لو سلمنا بذلك فإن المؤثرات التي حوله من مغريات وانفتاحية وعهر لا تساعده على الثبات، أو حتى التحكم في تربية أبنائه تربية إسلامية والذين هم جيل المستقبل.

إن هذا الدين يا دكتور مارك لابد له من أن يستقر في القلب ولن يكون ذلك في وجود منغصات، بل سيقرر الإنسان ذلك بعد أن تُفتح البلد، وتستظل بظل الإسلام، ويقترب من معانيه دون خوف.

ثم إن الجزية يا دكتور مارك ليست نظام جباية جبروتي بل هو نظام سلس، وبالتالي من لا يعمل، أو أنه كبير في السن، أو هو رجل ضعيف، أو أنها امرأة، أو أن يكونوا أطفالًا فإن الإسلام لا يأخذ منهم شيئًا، بل وقد يساعدهم، لأن الإسلام يهتم ويرعى شؤون كل من هم تحت سلطته ولو لم يكونوا مسلمين.

إنه دين يجد فيه الإنسان نفسه، وبالتالي ستنتابه رغبة بالانتماء إليه.

مارك: لكن قد يتأخر المسلمون يا خالد في إيصال الإسلام لمكان ما، وعندها تكونون سببًا في دخول الكثير من الناس إلى النار.

خالد: لتعلم يا دكتور مارك بأن الله عز و جل أرحم الراحمين، ولا تظن بأنه سبحانه سيعذب عبدًا دون تبليغ، هو خلقهم، وهو سبحانه يتولاهم، وهو ألطف بهم وأعلم بحالهم.

نعم يحزنني كثيراً في هذا العصر من أن بعض المسلمين مقصرين في تبليغ هذا الدين، لكن لا ننكر بأن هنالك جهود قائمة في هذا الجانب من الكثيرين، سواءً كانت منظمات أو كانوا أفرادًا.

إن هذا التقصير سيسألنا الله سبحانه تعالى عنه، وما كان ليحصل لولا هواننا، لكن لتعلم بأنه سبحانه حافظ لدينه، مقيض له رجالًا يبلغونه كل حين يعملون له يبذلون من أجله، و إن عانوا في ذلك، لأنه النور الذي أراد الله له التمام ليبقى.

مارك: حدثتني يا خالد أنه من بين المسلمين من يبلغ هذا الدين بتعامله، وذكرت مثالًا للتجار المسلمين، ألا يكفي ذلك لتبليغ هذا الدين ويغنينا ذلك عن كل الجيوش، والتي قد تُسبب الكثير من الصراعات بين البشر؟

خالد: إن الصراعات يا مارك سنة الله في أرضه، ولو قلنا بكلامك فسأتفق معك بأن هنالك من سيدخل هذا الدين بسبب ذلك؛ لكن ماذا بعد ذلك؟

كيف سيتحقق حكم الله في الأرض؟

إن الإسلام كما أخبرتك ليس محصورًا في دخول أناس معينة فيه، لكنه في إقامة حكم الله على الأرض ليضيء الأرض، ويستنير الإنسان بنوره، فيعرفه القاصي والداني، ولن يكون ذلك دون قوة وتبليغ، وقد تحدثنا عن ذلك.

لتعلم يا دكتور مارك بأن الأخلاق قد تجدها عند المسلم وغير المسلم، بل هي مطلوبة أن تتحقق لدى المسلم، لأنه لن يرضي ربه بعيدًا عن تحقيقها، لكن ليس كل الناس لديها

الفضول لتسأل عن أخلاقك وتتأثر بها، وبالتالي ستُحرم من تبليغ هذا الدين وإيصاله لها، ولذلك كما ذكرت لك لابد من سيادة منهج الله على الأرض ليتحقق الهدف.

إنه دين لإنقاذ البشرية وليس منتدى يبحث عن أعضاء فقط للانتماء إليه.

مارك: هذا صحيح، لكن لنعد للتجار المسلمين من باب آخر في قضية تبليغ هذا الدين، وأنهم بأسلوبهم وأخلاقهم ساهموا في دخول الكثير من الناس فيه للإسلام، لكنني قد أخالفك في بعض المسلمين، خاصة وأنت تعيش معنا هنا وترى الكثير من المسلمين ممن هم على النقيض تمامًا وينقلون صورة سيئة عن الإسلام.

خالد: أنت محق في هذه النقطة، وهذا مما يحزنني كثيرًا أن ينقل بعض المسلمين صورة سيئة عن دينهم، لكنني أريد أن أفهمك شيئًا مهمًا يا دكتور مارك.

مارك: ما هو؟

خالد: أريدك أن تفهم بأن الإنسان عندما يدخل في الإسلام أو ينشأ عليه ليس معنى ذلك أنه انتقل من الحالة الإنسانية إلى الحالة الملائكية؛ أبدًا ليس الأمر كذلك، إنه إنسان يصيبه القصور والخطأ، وقد تغلبه شهواته يومًا، ولذلك فتح الله له بابًا للتوبة والاستغفار، وعلى ذلك من الخطأ أن نحكم على

منهج أو منظمة ما من واقع تصرفات أفراد قصروا يومًا في تطبيق أحكام ذلك المنهج في نفوسهم

إنني أسمع كثيرًا من غير المسلمين ممن يقول بأنه يريد أن يدخل في الإسلام لكنه يمتنع عن ذلك لأنه يرى تصرفات بعض المسلمين وهذا خطأ كبير وظلم للإسلام ولنفسه، لأن الإنسان الغير مسلم يظلم الإسلام عندما يحكم عليه من واقع تصرفات أفراد وليس كمنهج قائم بذاته، وظلم لنفسه يوم أن يحرمها من الدخول في الإسلام والانتساب لهذا الدين، وبالتالي الفوز بالجنة في اليوم الآخر، ليعرض نفسه للدخول في النار.

دكتور مارك إن الله سبحانه وتعالى سيحاسب كل فرد على حدة وبما قدم، وليس بما قدم غيره، ورغم ذلك يوجد الكثير من الشباب ممن قدم وخدم دينه وكان مثالًا للشاب المسلم الداعية لدينه.

إنه لا ينبغي أن يذهب الشاب المسلم إلى بلاد الكفر طالما أنه لم يتزود الزاد الإيماني الذي يحميه من الوقوع في الفتن، والتأثر بها، ثم يعرضه ذلك لأن يضيع دينه، والدين هنا هو أغلى ما يملكه الإنسان فإن ذهب فلن يغنيه ما أكتسبه من أمور دنيوية أيًا كانت، ومن ناحية أخرى حتى لا يؤثر بسلوكه السيئ على غيره، والسلوك هنا قد يكون في الأخلاق أو في الفهم الخاطئ الرخيص للدين، فينظرون

للإسلام نظرة خاطئة ويكون سبباً في إعراضهم عنه كما ذكرت لك.

نعم لابد من أن يكون هنالك مسلمون يدعون إلى الله وينتشرون في الأرض لكن لا يكون مقابل ذلك أن نخسر مسلمًا انغمس في الثقافة الغربية وتأثر بها، فضيع دينه، وعلى ذلك لنضع الرجل المناسب في المكان المناسب حتى تستقيم الأمور.

مارك: وماذا نسمي تقصير المسلم تجاه أمور دينه يا خالد؟ هل هي أزمة إغراء من قبل الدين لكي يقبل المسلم عليه، أم هي أزمة علاقة بينهما؟

خالد : لا، ليس الأمر كذلك أبداً.

صحيح أن مشكلة الإنسان تكمن أحيانًا في أنه يحب العاجلة ولا يفكر باليوم الآخر فيجعله ذلك مقصرًا في أمور دينه؛ لكن الدين مقابل ذلك بين الأجر العظيم لصبر المؤمن في الدنيا وتمسكه بالدين، بل أن ديننا يا دكتور مارك هو دين إغراء لعمل الصالحات، والله سبحانه وتعالى وضع الأجر العظيم لكل مسلم عندما يعمل عملًا يريده الدين، بل ويضاعفه له أضعافًا كثيرة، كذلك هنالك مواسم تضاعف فيها الأجور، وهنالك أعمالًا يفعلها المسلم تُمحى بها الذنوب والخطايا، وفي مقابل ذلك تكتب له سيئة واحدة عندما يعمل

عملًا سيئًا لا يرضاه الدين، ولو كانت أزمة علاقة لما كان هنالك الأجر العظيم الذي يصل لغفران الذنوب إذا تاب العبد من المعصية.

أما لو لم سيستشعر الإنسان المسلم كل ذلك ويستشعر أيضًا كذلك نعمة الإسلام، أو أنه قد يظن من أن أحكام هذا الدين عبارة عن قيود تقيده فإن المشكلة هنا تكمن في ذلك الإنسان وعقله الذي قاده إلى ذلك.

مارك: صحيح يا خالد، لكن الإسلام لا يتوافق بمحاربته للشهوات مع رغبات الإنسان وحبه للدنيا، بل أنه يحارب حتى الإعمار في الأرض، فكيف يكون هنالك توافق بينه وبين الإنسان؟

خالد: ومن قال لك ذلك؟

أخبرتك يا دكتور مارك فيما سبق من أن الإسلام جاء لينظم الحياة وينظم العلاقات بين الناس، ثم إن الشهوات هذه التي تتكلم عنها ستفسد العلاقة بين الناس وبعضهم، وستخل بنظام الاستقرار في الأرض.

إن الشهوات التي يحاربها الإسلام ويمنع الناس من ارتكابها هي في الأصل بداية كل إجرام، ومعطلة للإعمار الذي قلت أنه من رغبات الإنسان.

لن يتحقق الإعمار يا دكتور مارك في ظل شهوات، ولو قلت لي بأن العالم الغربي تمارَس فيه الشهوات ورغم ذلك هو أكثر إعمارًا وحضارة من العالم الشرقي سأخبرك بأنك مخطئ.

نعم مخطئ يا دكتور مارك، صحيح أنه يخيل إليك أنه أكثر تقدمًا وتطورًا، لكن ألا ترى بأنه عالم متفكك اجتماعيًا وتكثر فيه الجرائم وحالات الانتحار، فأين الإعمار الذي تتحدث عنه؟

إن الإعمار يا دكتور مارك لابد له من أن يخدم الإنسان، لكن لو تأملت في العالم الغربي لوجدت أن الإنسان هو من يخدم الإعمار.

نعم أنت تشاهد التكنولوجيا العظيمة في الثقافة الغربية والتي حققها الإنسان الغربي فكانت علامة بارزة ونهضة عظيمة، لكن ماذا قدمت له؟

هل سألت نفسك هذا السؤال يا دكتور مارك؟

نعم أصبح إنسانًا عمليًا منتظمًا في وقته وحياته، وأغراكم حسنه، لكنه انتظام من أجل الإعمار لا من أجله هو، لذلك يضغط الإنسان على نفسه ويحملها ما لا تطيق من أجل أن يكون مثاليًا حتى ينجز، ولو اقتربت منه لما وجدته مستمتعًا بما يقوم به، والاستمتاع هنا هو الاستمتاع الداخلي

المصحوب بالراحة، ثم تمضي السنين والأيام وهو على حالته تلك.

إن الإعمار الذي تتحدث عنه يريد من الإنسان أن يقدم تنازلات من أجل أن يحققه ولو كان على حساب راحته أو حتى كرامته.

نعم يا دكتور مارك حتى على حساب كرامته التي أعطاها له المولى سبحانه، فكم من امرأة ضاع عرضها لأن الإعمار يريد ذلك.

يريد لها أن تخرج وتتبرج وتختلط حتى تكتمل صور الإعمار، فلن يفيد برج شاهق أو فندق راقي بدون نوادي ليلية، أو امرأة مظهرة لمفاتنها خلف كاونتر الإستقبال.

وكم من حرية أهدرت أيضًا باسم الإعمار، فما عاد للأب سلطة ولا للزوج قوامة، فتفسخت الأسر، وضاعت الأخلاق لأن الإعمار يريد ذلك بإسم الحرية حتى تكتمل روعة الصورة.

نعم الحرية يا دكتور مارك والتي ادعيت سابقًا بأن الإسلام يحاربها وأنكم تريدون تحقيقها للإنسان، ولم تعلم بأن الإعمار الذي تدعونه أراد للحرية طريقة أخرى ومسارًا آخرًا ليُخرج الإنسان بإسم الحرية من قيود رسمت له على

أنها حرمته الإبداع لتلقي به في سجون الإعمار عبدًا له ومتشكلًا على هواه.

نعم، لابد لنا من أن نعمر الأرض.

من أن نرتقي بالمكان، ونتقدم، وننافس الأمم، وننال الصدارة في جميع الميادين.

من أن نكون أمة منتجة ورائدة، لكن لا يكون ذلك بعيدًا عن مراد الله سبحانه، لأنه باختصار لن يتحقق.

لن يتحقق لأن الإعمار في الأرض ليس مقصودًا منه العلو في البناء، أو في الاختراعات والاكتشافات فقط، لا.

إن الإعمار في الأرض هو في بث الحياة فيها.

في الارتقاء بمن فيها في جميع ميادين الحياة لترتقي الأرض.

نعم يكون الإعمار ببناء الإنسان ومن أجل الإنسان، فهو الحياة ذاتها وبه تقوم.

ببناء أمنه وطمأنينته.

برسم سعادته وتحقيق راحة البال ليحقق المقصود من وجوده في الدنيا وقد فشلت حضارة الغرب العظيمة في تحقيق ذلك.

إن الحضارة الإسلامية القديمة في عهد الدولة الإسلامية وفي الأندلس يا دكتور مارك كانت أكثر عظمة لأنها تكونت بمفهوم الإسلام وللإنسان فروضت له الأرض وكانت حديث الدنيا.

كانت كذلك لأنها زرعت له الأمان القلبي فتحققت الطمأنينة للإنسان فأعمر الأرض في شتى المجالات وتحققت له النهضة التي يريد، لكن النهضة التي تتحدثون عنها في الحضارة الغربية ما حققت ذلك فانهارت بالإنسان وإن علا البناء.

مارك: لكن الحضارة الإسلامية القديمة التي حدثتني عنها يا خالد لماذا لم تستمر؟ هل ثمة فشل أصابها؟ أم أن مفعولها قصير المدى؟

خالد: أبدًا ليس الأمر كذلك يا دكتور مارك.

إن الحضارة والعمارة مجد دنيوي وقوة تساهم في بناء الأمم، والعمارة هنا يا دكتور مارك كما أخبرتك تكون وفق مراد الله وغير ذلك فهو جرف هار، والله سبحانه متى ما وجد من المسلمين تمسكهم بمنهجه فإنه سييسر لهم سبل الحضارة والرقي في الحياة، ومتى ما وجد منهم البعد عن منهجه فإنه سينزعها منهم انتزاعًا، وإن الحضارة الإسلامية القديمة ما تحققت إلا لتمسك المسلمون بمنهج الله فكان أن

ملكوا الدنيا وأقاموا فيها أعظم الحضارات في كافة ميادين الحياة من طب، وهندسة، وغير ذلك من العلوم، بل وأن آثارها مازالت موجودة في أرقى جامعات العالم إلى اليوم، يستمد منها كل اكتشاف علمي أو تطور جديد وهذا دليل على أنها ليست قصيرة المفعول كما ذكرت في سؤالك يا دكتور لكنها انتزعت منهم لبعدهم عن الله، ولذلك تنظرون إليها اليوم وينظر كثير من المسلمين لأنفسهم على أنهم أمة متخلفة في حياتها.

مارك: ذكرت يا خالد بأن الرب متى ما وجد من المسلمين تمسكهم بمنهجه فإنه سييسر لهم سبل الحضارة، فهل الرب راضي عنا ونحن البعيدون كما تقول عن منهجه؟

خالد: وهل كانت الحضارة لكم نقطة إيجابية وتحول للأفضل؛ خاصة في مجال التقرب الصحيح لله عز و جل وفهم حقيقة الدنيا؟

لتعلم يا دكتور مارك أن الله سبحانه وتعالى إذا أحب قومًا وفقهم للمستقبل الحقيقي، نعم جاءتنا الحضارة وعمرنا الأرض وسدنا كمسلمين، فكانت حضارتنا زيادة في الرفعة والتمسك بالقيم الإسلامية، وزادت من ترابطنا الاجتماعي، وأشعرت الفرد منا بثمرة هذه الحضارة وهذا الإعمار، فعاش مطمئناً، وأنتم جاءتكم فماذا فعلت بكم؟

إنها كما ذكرت لك يا دكتور مارك حضارة مزيفة، أغرتكم فأعمتكم، وكان الإنسان منكم خادمًا لها فأشغلته بها، و أفنى عمره عبدًا لها فعاش كئيبًا.

مارك: !!

خالد: آه يا دكتور مارك، لقد أخذنا الحديث، ودخل وقت الصلاة، ما رأيك أن أصلي ثم نتاول الغداء قبل أن نغادر الحديقة.

مارك : حسنًا، سيكون رائعًا لو تناولنا الغداء عند البحيرة.

كان اللقاء شيقًا، تحدثا فيه عن أمور كثيرة ثم تناولا طعام الغداء وعاد مارك إلى منزله، لكنه هذه المرة كان في قمة الذهول.

في قمة الذهول لأنه سمع كلامًا جعله يغير الكثير من الأفكار والنظرات التي كان يحملها تجاه الواقع الذي يعيشه.

نعم، رغم الحضارة التي يعيشها الدكتور مارك لكن ليس كل شيء على ما يرام.

لا يشعر بالراحة أبدًا، ولم يشعر بأن هذه الحضارة نقلته إلى سعادة وحياة أجمل.

نعم، هو يملك المال.

نعم، هو يملك سيارة فارهة جدًا، ويملك الوقت، بل الوقت هو الذي يملكه، ولو توقف قليلًا لتوقف الإعمار المطلوب منه أن يحققه، لا الذي يريد هو أن يحققه.

أخذ يفكر وهو مسرور.

نعم مسرور لأنه يفكر!

لأن شيئًا جاء من مكة يريد منه أن يفكر.

هل تغير شيء في حياتك يا مارك؟

عبارة قالتها له زوجته إيميلي وهي تراه سارحًا بفكره متقلب في حاله منذ أيام.

مارك: لا شيء يا عزيزتي، لكن السيد خالد قادني للتفكير ومراجعة الكثير من الأمور.

إيميلي: نعم لقد حدثتني كثيرًا عن هذا الموضوع.

مارك: وأنتِ ما رأيكِ؟

إيميلي: انتابني يا عزيزي نفس الشعور، خاصة و أنني بحثت في الشبكة العنكبوتية عن دين الإسلام، فوجدت نسخة مترجمة بالإنجليزية لمعاني القرآن، قرأت من هذه النسخة عدة صفحات، فشعرت براحة كبيرة كلما قرأت أكثر.

مارك: ماذا وجدتِ في هذه النسخة؟

إيميلي: كلام يدعوا للفضائل، ويحترم الإنسان.

وجدت كلامًا يشعرك بأنه يتحدث عن كل شيء، وكأنك في جامعة تضم جميع الأقسام، تارة يتكلم في علاقة الإنسان بالرب وطاعته، وتارة يتكلم في علاقات الناس فيما بينهم وكأنه وزارة متطورة في الأحوال الشخصية من العلاقة بين الوالدين والأبناء وحقوق كل منهما، إلى علاقة الأزواج من خطبة إلى زواج، وحتى لو وصل الأمر إلى الطلاق، ثم في شأن الإخوة والإرث، بل وحتى حقوق الجيران والصحبة وحقوق الشارع، وعن أحوال الأسفار وفي كيفية التصرف في حالات الجرائم أو في مواجهة مشكلات الحياة، إلى غير ذلك في أسلوب رائع وشامل، لا أظن أنك تجده في كل دساتير الدنيا.

مارك: أحقًا في كل تلك العلاقات؟

إيميلي: نعم، بل حتى أنه يتكلم عن إعجاز الكون والبحار وكأنك في درس عن الكيمياء أو الأحياء أو الفيزياء، كذلك يتحدث عن الأمم السابقة وعن خلق الإنسان، ثم يبحر بك للحديث عن اليوم الآخر والعالم المستقبلي، لا أعتقد أن هنالك أحد يستطيع أن يتكلم في بعض ذلك فما بالك في كل ذلك.

مارك: رائع.

إيميلي: لنفكر قليلًا.

لا تنسى يا مارك بأن جارنا عادل رجل مسلم وأنا من قبل أن تحدثني عن صديقك خالد كنت أرقب تصرفات عادل فلم أجد ما يجذبني نحو دينه، فأخشى أن يكون في الإسلام سر لو عرفناه لاتضح لنا من الأمور ما يجعلنا نتخذ قرارًا بعدم الدخول فيه.

مارك: ما تقولينه منطقي جدًا.

ما رأيكِ بأن أتحدث مع جارنا عادل ليذهب معي نهاية الأسبوع لحديقة قولدن قيت حيث ألتقي بخالد.

إيميلي: سيكون من الجميل أن يحدث ذلك، اتصل عليه وأخبره بذلك.

عادل هو جار للدكتور مارك، يقيم هنا في سان فرانسيسكو منذ خمسة عشر عامًا، وهو مالك لمجموعة متاجر للملابس الجاهزة.

عادل رجل مسلم لكنه أبدًا لا يريد بأن يدخل الدين في شؤون حياته، لأنه يرى بأن الدين مكانه دور العبادة فقط، وأن المصالح خارج تلك الدور هي التي تحدد ما يكون من أمور لأننا في عصر الحريات.

أخبره الدكتور مارك بأنه سيذهب للنزهة مع صديقه خالد وبأنه سيسعد لو حضر معهما، فرحب عادل بالفكرة خاصة وأنه لم يلتقي بالدكتور مارك منذ شهرين لانشغال كل منهما بأمور حياته.

فرح الدكتور مارك لهذا اللقاء، وانتظر صبيحة يوم العطلة بفارغ الصبر، حتى أنه استيقظ باكرًا وتوجه لجاره عادل من أجل ألا يتأخرا عن خالد الذي كان في القولدن قيت، وبالتحديد في حديقة الزهور يتصفح الجريدة ومحتسيًا كوبًا من القهوة.

مارك: صباح الخير يا خالد.

خالد: صباح الخير يا مارك، يبدو أن لدينا ضيفًا هذا الصباح.

مارك: نعم، إنه جاري عادل، وهو عربي مسلم يعمل هنا، لديه سلسلة متاجر لبيع الملابس.

خالد: مرحبًا بك يا عادل، تشرفت بلقائك، وأظن أنه قد التقيت بك في مناسبة سابقة، لكنني لا أعرف بالضبط أين كان ذلك.

عادل: شكرًا لك، أنا أيضًا مسرور بالالتقاء بك مرة أخرى، أعتقد بأننا التقينا في المسجد في صلاة العيد قبل سنة، يوم أن تناقشنا في بعض الأمور.

خالد: آه.. تذكرت لقد كنت مشاكسًا إلى حد ما.

عادل: ليست مشاكسة كان رأينا أنا والمهندس إياد، وأنتم لم تقتنعوا بكلامنا.

مارك: يبدو أنه كان حوارًا ساخنًا بينكما.

عادل: لا أبدًا، فقط تحدثنا في بعض المسائل الدينية واختلفنا في حكمها.

مارك: وهل دينكم مجهولة قوانينه وأحكامه لدرجة أنكم تختلفون فيها؟

عادل: لا، ليس الأمر كذلك لكن هنالك من تصدر للدين ويريد أن يدخل الدين في كل شيء، فأصبح يصدر من الأحكام ما ينفر الناس عنه.

مارك: وهل دينكم يرتبط بالأمور الغير عبادية؟

عادل: ديننا بسيط وسهل، والله أوجد للإنسان الحرية، فيكفيني أنا أن أصلي، و إذا جاء رمضان أصوم أيامه، ثم بعد ذلك أفعل ما أشاء، لكن هنالك من يأتي ليربط الدين بكل شيء.

خالد: كل شيء مثل ماذا؟

عادل: كل شيء، تصرفاتي، وطريقة حياتي حتى في ملبسي، وطعامي، أيعقل أن يقيدني الدين حتى في هذه الأمور؟ أين الحرية التي كفلها للأفراد؟

خالد: ومن قال لك بأن الدين يقيدك؟ مشكلتك يا عادل أنك لا تقرأ عن الإسلام وأحكامه إلا كثقافة عامة بسيطة، ثم تريد أن تناقش رغم أنكم كمناقشين تعطون لكل تخصص أهله في الحديث عنه، أما في أمور الدين فتتصدرون الكلام فيه.

مشكلتك يا عادل ومشكلة الكثيرين أنكم لا تتأملون وأنتم تسيرون في هذه الحياة وتتصرفون في شؤونكم، كيف أن

الدين أحل لكم أشياء كثيرة من حولكم، وتتوقفون بغضب فقط عندما يقول لكم الدين لا تفعلوا ذلك.

أنت يا عادل في كل يوم تلبس ما تشاء من الملابس، وتأكل ما لذ وطاب من الأطعمة، وتستمع لما تشاء، وتتصرف في حياتك كما تريد، لكن إذا جاء الدين وقال لك هنا قف تقومون بمهاجمة الدين، وتظنون أن الدين يقيد حرياتكم، أبدًا ليس الإسلام كذلك، ولو تأملت لماذا الدين يوقفك عند بعض الأمور لعلمت أن لذلك سببًا ولم يكن الأمر بالتوقف هنا سطوة، بل قد يكون لضرر قد يصيبك، أو قد يكون الفعل هنا الذي تريد أن تفعله تدخل في حريات أناس آخرين، أو حرمانهم منها.

عادل: ولماذا أقف ولا أستمع إلى الموسيقى فأنا بذلك لن أضر أحدًا، ولن يلهيني ذلك الأمر عن صلاتي؟ ولماذا لا أشرب الدخان طالما أنني سأشربه وأنا لوحدي ولن أكون سببًا في أن أضر أحدًا؟ ثم لماذا أحيانًا تحرمون أشياءً بحجة سد الذريعة؟

خالد: الله سبحانه وتعالى يا عادل هو من خلق كل شيء، و هو أعلم بكل شيء صنعه، وبما ينفعه أو يضره، و لو تأملت في كل أمر حرمه الله كما أخبرتك لوجدت أن تحريمه سيسبب ضررًا على الإنسان، أو المجتمع، سواءً كان ضررًا محسوسً أو غير محسوس، ولو لم تعلم أنت السبب لكفاك

سببًا أن من خلقك و أوجدك هو من منعك من هذا الأمر، وهو أعلم بك، ألست ترجو رضى الذي خلقك؟ إذًا أطعه.

ثم إن مسألة سد الذرائع هي لحفظ المجتمع من الوقوع في مآثم أكبر تضر بذلك المجتمع وتصل به إلى الانحطاط.

إن النبي ﷺ قد عمل بها عندما وضع بابًا لدخول النساء للمسجد، وذلك منعاً للاختلاط الموصل لمنكرات، رغم أن دخولهم من باب واحد مع الرجال ليس محرم في أصله، خاصة وأنه عليه الصلاة والسلام يعيش بين أفضل جيل في تاريخ البشرية، ورغم كل ذلك ما منعه عليه الصلاة والسلام من فعل ذلك الأمر، ولو تأملنا في أبواب سد الذرائع لعلمنا أن الأبواب المسدودة لن تعطل الحياة على هذه الأرض، و ليس بالضرورة وجود تلك الأمور في حياتنا طالما أن هنالك خطرًا قد يقع بسببها، ولو قلت بأنني لن أقع فيها فقد يأتي من بعدك ويوقع نفسه فيها وإن لم يقصد.

إنه باب كما ذكرنا لحفظ المجتمعات وليس كما يقال من أنه قتل للحياة، ولو كان كذلك لمُنعت القروض المالية بين الناس لسد باب الوصول للربا، لكن الإسلام ما فعل ذلك الأمر حتى لا تتعطل مصالح وحاجات الناس، فأباح القرض الحسن رغم حرمة وخطورة الربا.

إن نظام الحد من السرعة في المرور ما وُضع لأن السرعة ممنوعة في أصلها ولكن لأنها ذريعة لحصول الحوادث، ولذلك وضع ذلك النظام لحماية الأرواح، والنظام هنا لا يستثني السائق المحترف، ولو قال بأنه لن يتسبب في حادث، وهذا النظام خدم المجتمع وقلل من الحوادث فلما لا نطالب هنا بعدم سد هذا الباب نترك للناس الحذر بطريقتهم؟

إن دساتير العالم رغم بطلانها فإنها تستخدم سد الذريعة في قوانينها لأنها تراه ضرورة لحفظ المجتمع لم ينكر عليها أحد ذلك الأمر بل أيدوه طالما أنه يحفظ ذلك المجتمع في نظرهم، لكن لأنه الإسلام كان كل ذلك الاعتراض عليه.

عادل: لكن باب سد الذرائع يا خالد فيه نوع من إساءة الظن بالمجتمع.

خالد: ليس الأمر كذلك يا عادل لأنك قست ما ذكرت قياسًا دنيويًا بحتًا، ولو قسنا الأمر قياسًا أخرويًا ورغبة محب يريد أن يؤمن الطريق الدنيوي للناس حتى يصلوا بسلام للآخرة لاختلفت نظرتك من سوء ظن إلى حب وصول، ولا تظن أبدًا بأننا قد نسيء الظن نبني على ذلك أحكام في الشريعة.

عادل: لكنكم يا خالد أحيانًا تحرمون أشياء ونمتنع عنها ثقة في علمكم، ثم يأتي من العلماء من يقول أنها ليست بحرام، فكيف تريدوننا أن نصدقكم بعد ذلك؟

خالد: المشكلة يا عادل أن هنالك من يتبع هواه وينجذب نحو الشيخ الذي يوافق ميوله ورغباته دون أن يتأكد من صحة كلامه.

نعم، هنالك أمور ظهر من يقول بأنها حلال وأنها ليست محرمة، ويستدل بقول فلان أو فلان، بل أحيانًا قد يأتي بحديث للنبي ﷺ.

عادل: إذًا تعترف أنكم مخطئون؟

خالد: لا، ليس الأمر كذلك، إن الاستدلال بقول فلان أو فلان رغم وجود الدليل الشرعي أو تأويل ذلك الدليل بطريقة معينة أمر مرفوض تمامًا ولا يقبل اجتهاد الشخص مهما كان في ظل وجود هذا الدليل، لأن العالم هنا هو رجل مبلغ للشرع ليس بمشرع، ولو جاء ذلك العالم بآية قرآنية أو بحديث عن النبي ﷺ ليستدل به على أمر ما أو لقصة حدثت في عهد النبي ﷺ فهي لها حالات، إما أن يكون الدليل صحيح وليس هنالك دليل آخر يخالفه وهنا لابد من الاتباع، أو أن يكون حديثًا ضعيفًا أو هو حديث مكذوب عن النبي صلى الله عليه سلم، أو أن تكون الآية المستدل بها نزلت بعدها آية تحرم هذا الأمر.

مارك: كيف ذلك؟

خالد: مثلًا الخمر، نزل تحريمه على مراحل؛ فمثلًا في بداية الأمر جاء الأمر بالنهي عن إتيان الصلاة والإنسان في حالة سكر، فمعنى ذلك أن الخمر كان حلالاً ولم يحرمه الشرع، ولذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ **﴾[1] فمن استدل بأن الخمر حلال بدلالة هذه الآية هل نقول له كلامك صحيح ؟**

الجواب بالتأكيد لا، لأن هنالك آية أخرى تحرم الخمر نزلت بعد ذلك وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾**﴾ [2] فدلت هذه الآية على التحريم وقس على ذلك مسائل أخرى في الكتاب أو السنة، أرأيت أن الأمر ليس كما كنت تظن.**

عادل: أنا لا أحب كثيرًا أن استدل بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لأنها ليست قرآنًا، وهي معرضة للتحريف.

خالد: ألم أقل لك يا عادل بأنكم أحيانًا تتصدرون في الحديث عن الدين وأنتم لا تفهمون فيه إلا كثقافة عامة فقط.

---

[1] سورة النساء آية 43 .

[2] سورة المائدة آية90.

إن الله سبحانه و تعالى كفل حفظ القرآن فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ **﴾[1]، ومعلوم لدينا أن كلام النبي صلى الله عليه و سلم وحي بدلالة قوله تعالى:** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2] **وكلام النبي ﷺ هو شرح للقرآن، وهي الحكمة التي يُعلِمها مع الكتاب للناس ﴿** لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[3]**، وبالتالي فإن الله سبحانه وتعالى حفظ هذه السنة لأنها شرح للقرآن الذي هو منهج للناس على هذه الأرض، فقيض سبحانه من يحفظ هذه السنة ويحميها، فظهر علم الحديث وهو علم يثبت ويخرج أحاديث النبي ﷺ، وله رجال ثقات ولذلك ما إن يذكر حديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام إلا ويثبتون عن طريق هذا العلم صحته أو ضعفه، أو أنه حديث مكذوب عنه ﷺ، فحُفظت السنة عبر الزمان وتواترت الأحاديث بحفظ الله سبحانه.**

نحن يا عادل أمرنا القرآن بالصلاة لكنه لم يذكر لنا صفة أدائها، وكذلك أمرنا بالكثير من الأمور لكن السنة عرفتنا

---

[1] سورة الحجر آية 9 .

[2] سورة النجم آية 3 – 4 .

[3] سورة آل عمران آية 164 .

طريقة الصلاة الصحيحة وغير ذلك من الأمور عن طريق الأحاديث الصحيحة الثابتة والتي أثبتها لنا علم الحديث.

إنه لا يجوز للمسلم أن يرد أحاديث النبي ﷺ بأي حال من الأحوال بحجة العقل، ولو كان في عقله خير لتعلم ذلك العلم حتى يتأكد من ذلك، لا أن يجلس على الأريكة في منزله فيرد ما يشاء وعلماء الأحاديث يجوبون الدنيا من أجل تخريجها وإثباتها.

عادل: عرفت الآن، لكن قد يكون من قال بالتحليل له وزنه واجتهاده، فلماذا تغلقون الباب في وجهه ولا تتقبلون رأيه بأريحية ومن يريد رأيكم يعمل به ومن يريد رأيه يعمل به؟ ألم يختلف الصحابة في عهد الرسول ﷺ وأقرهم على هذا الاختلاف في حديث لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريضة؟ ألا يدل ذلك على أن ديننا دين يسر ووسطية وأن الاختلاف رحمة بالأمة؟

خالد: الحديث الذي ذكرته هو أن النبي ﷺ أمر الصحابة بالمسير والإسراع إلى بني قريضة وقال لهم: (لا يصلينا أحدكم العصر إلا في بني قريضة) فأسرع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانقسموا فريقين عند دخول وقت صلاة العصر، منهم من أخذ بظاهر قول النبي ﷺ ولم يصلي إلا في بني قريضة، ومنهم من أخذ بمفهوم قوله عليه الصلاة والسلام فصلوا في الطريق عندما دخل وقت الصلاة، وليس

معنى ذلك أن يفعل الإنسان ما يشاء بحجة اختلاف الآراء، لأنه لو نظرنا للحديث لوجدنا أن اختلاف الصحابة هنا لم يكن وفق هوى أو وجهة نظر، لذلك لم ينكر عليهم النبي ﷺ .

أبدًا لم يكن الأمر كذلك، بل كانوا أحد أمرين كما ذكرنا، إما تطبيق حرفي للنص فصلوا في بني قريظة عند وصولهم، أو فهم المراد من أمر النبي ﷺ؛ وهو الإسراع في الوصول فصلوا العصر عند دخول الوقت، والفهم هنا لم يكن مبنيًا على هوى، وإنما لوجود أدلة تدل على وجوب الصلاة في وقتها، فاتبعوا تلك الأدلة وأخذوا الفهم من مراد النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يحتمل ذلك، وبذلك جمعوا بين الأمرين، ولو تأملنا في فهم البعض الآن وقياساتهم العقلية للمسائل فماذا سنجد؟

سنجد أن فهم بعضهم لايكون وفق قياسات شرعية بل عقلية فقط، وعلى ذلك فإن العالم ما هو إلا مبلغ، وليس بمشرع، ولو اجتهد برأي فإن اجتهاده يبنى على ضوابط لا على هوى.

نعم قد أعطي رأيي في قضية ما لكن أمور الشرع ينبغي أن نسلم بها جميعًا ونردها إلى الشرع، لأن الله سبحانه هو الذي خلق وهو أعلم بما هو أنفع لمن خلق، وعلى ذلك إذا جاءني شخص ما وتناقشنا في مسألة ما وقلت أنا ما أراه في

المسألة وقال هو ما يراه في المسألة عندها نعود إلى الشرع لنأخذ بالذي وافق الدليل، والله سبحانه يقول: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ﴾[1]**، ثم بعد ذلك ينبغي لنا أن نسلم آرائنا لأمر الله ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2] **لا أن نتعصب لآرائنا، أو للجماعة التي ننتمي إليها، أو للعالم الفلاني، فهذه قضية بحد ذاتها مؤلمة أن نرى انتشار مثل هذه الأمور التي تحدث التفرق بين المسلمين، بل لا بد من التمسك بحبل الله وفق مراد الله في كافة شؤون الحياة.**

نعم قد اتبع عالم من العلماء بحجة قلة علمي واطلاعي، لكن ينبغي علي أن أجتهد في تتبع العالم بحيث يكون عالمًا ربانيًا يتبع الدليل لا الرخص، لأنني مسؤول أمام الله عن ذلك، ولنعلم هنا أن العالم مهما كان حجمه فهو بشر، وليست لديه العصمة، وأنه قد يخطئ في بيان مسألة ما، فإن حدث منه ذلك فإن مردنا كما أخبرتك للكتاب والسنة.

إن مما يحزن أن نسمي بعض الآراء ووجهات النظر اختلافات شرعية، بل ونعامل أصحاب الدليل الشرعي على أنهم أحد فريقين نطالبهم بتقبل وجهة نظر من قاس المسائل

---

[1] سورة النساء آية 59 .

[2] سورة الأحزاب آية 36 .

بمنظور عقلي تاركًا الأدلة الشرعية جانبًا، وهذا ظلم لهم، بل هو ظلم للدليل.

أما في قولك يا عادل بأن الاختلاف رحمة؛ هل تريدنا هنا أن نسمي الرأي الذي يخالف الدليل أو لا يتقيد به أمرًا مقبولًا وأنه خير ورحمة؟

هل ترى بأنني عندما أتبنى رأيًا لم يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم وأريد أن يقبله الناس بأنني هنا رحيم بهم لأنه يسهل لهم الحياة التي يريدونها؟ هل سأكون حينها أكثر رحمة من النبي الذي بعثه الله رحمة للعالمين؟

هل الرأي الذي يخالف ذلك ويكون سببًا للميل عن الهدي والطريق الصحيح الموصل إلى الجنة هو هنا رحمة بهؤلاء السالكين؟

إن الإسلام قد حذر من الاختلاف وليس كله يأتي بخير، إلا ما جاء الشرع فيه بالدليل، أو أن يكون ذلك وفق أدلة وقياسات للمسائل، ينظر فيها أهل العلم المجتهدين وفق ضوابط علمية لا وفق وجهات نظر ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1].

[1] سورة الأنفال آية 46 .

ثم إن مسألة التيسير في الدين يا عادل تعود إلى الشرع فلا ينبغي لي ولا لأي عالم أن يلغي عبادة إنسان بحجة التيسير إلا بدليل شرعي، فصلاة الظهر مثلًا تصلى أربع ولا تخفف لأي إنسان إلا إذا كان مسافرًا، لأن الشرع رخص له ذلك، وهذا يدل على أن الذي خلق الإنسان هو أعلم بحاله في حالة السفر، ولذلك أجاز له القصر في السفر لأنه سيكون متعجلًا وبحاجة لأن يسير ويكمل سفره فكان التخفيف في اختصار وقت الصلاة، بينما لو كان مريضًا ولا يستطيع القيام، فإن الشرع هنا خفف عنه في طريقة تأدية هذه الصلاة، بحيث أن جعله يؤديها حتى وهو ملقى على سريره تقديرًا لحاله، لأن الشرع يعلم حال بدنه والألم الذي يعانيه لو كان أداها كعادته واقفًا، وقس على ذلك كثيرًا من الأمور التي يسر فيها الشرع، كإفطار المسافر، وإفطار المرأة الخائفة على طفلها في حالة الرضاع، إلى غير ذلك من أمور العبادات أو حتى في حياة الإنسان.

أما لو تكلمنا عن الوسطية فما هو مفهومك يا عادل عن الوسطية؟

عادل: الوسطية هي ألا تتشدد في الدين، وفي نفس الوقت أن لا تكون مفرطًا.

خالد: كيف ألا أتشدد؟

عادل: يعني لا تبالغ في التمسك بالدين.

خالد: وكيف ذلك؟

عادل: بالاعتدال في دينك، لا تحرم كل شيء وتجاوز عن أشياء طالما أنها لن تضر كثيرًا، عش حياتك، وتقبل الحياة كما تريد منك، قدم تنازلات، فليس كل شيء نربطه بالدين.

خالد: ما هو الاعتدال الذي تريده يا عادل؟ هل تريد من الوسطية أن أكون وسطًا في تطبيق الشرع وفعل العبادات فأختار ما يلائم؟

هل نبينا عليه الصلاة والسلام جاء بأحكام وأوامر كي أختار منها ما أريد تطبيقه ويجعلني وسطًا وأترك ما لا يناسب زمني والمحيط الذي حولي؟ هل نحن في سوبر ماركت يا عادل لنختار ما نشاء ونترك ما لا نشاء؟

هذا هراء يا عادل، إن الله سبحانه وتعالى بعث نبينا صلى الله عليه وسلم بأوامر وأحكام تناسب الإنسان، لأنه سبحانه هو من خلق الإنسان ليطبقها ذلك الإنسان على الأرض التي خلقها الذي خلق الإنسان، فإن نفذها فسينال الجنة التي خلقها من خلق الإنسان والأرض، وإن تركها فسيدخل النار التي خلقها من خلق الإنسان والأرض والجنة وكل شيء، وعلى ذلك فهو أعلم بما يناسب كل ذلك، ولذلك فهذه الأوامر موزونة فإن زاد فيها اختلت وإن نقصت عنها اختلت، فهذه

الوسطية الحقه، فهل تظن يا عادل بأن هنالك من سيوزن الوسطية غير من خلق كل هذه الأشياء ووضع لها ما يناسبها في كل حالاتها؟

هل تظن يا عادل أن النبي ﷺ لم يكن صحيحاً في أفعاله و هو يبلغ لنا هذا الدين وبالتالى عندما نتقيد به فإننا هنا نسمى متشددين في نظركم وأننا لا بد لنا وأن نغير بعضًا ما كان يفعله ﷺ حتى نحقق الوسطية التي تريد؟

عادل: لكن الزمن تغير وتطور، واستحدثت أشياء في العالم ما كانت موجودة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ولا أظن بأن قوانين الإسلام تستطيع التأقلم معها.

خالد: الله سبحانه و تعالى يا عادل أرسل للأمم السابقة رسلًا، وكل رسول جعله لأمة بما يناسبها من شرائع؛ لاختلاف الأزمان والأحوال والأماكن، لكن الهدف كان واحدًا وهو عبادة الله وحده والكفر بالطاغوت، وختم بنبينا محمد ﷺ كخاتم الأنبياء والرسل، ولو علم الله سبحانه أن هذا العصر تغير وبحاجة لأحكام أخرى لما ختم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولجاء لهذا العصر بنبي آخر بما يناسبه من أحكام.

نعم يا عادل قد تتغير الوسائل، فالبغال استبدلت بالسيارات، واستبدلت الخيام بالبيوت الفارهة، ووسائل التواصل ليست

كالسابق، أمور كثيرة تغيرت، لكن دعاء ركوب السيارة هو نفسه دعاء ركوب البغال، وأحكام تبادل التجارة العالمية لها نفس أحكام قافلة قادمة من اليمن أو الشام إلى مكة.

لو تأملت يا عادل إلى الكنيسة أو دور العبادات عند غير أهل الإسلام لوجدت بأنها حاربت التعليم في القرون الماضية؛ هل سألت نفسك أنت أو الدكتور مارك لماذا؟

باختصار لأنه يفضحها، وليس لديها ما تواجه به ذلك العلم.

إن أحبارهم ورهبانهم يرون من أن العلم وتطوره خطراً يهدد الكنيسة ودور العبادات عندهم لأنهم باختصار حادوا عن طريق الله واتبعوا طريقًا بدعيًا رسموه لأنفسهم وفق تفكيرهم المحدود، فصار ما لديهم ثابت والعالم من حولهم يتطور.

إن العلم يا دكتور مارك سيفضح مذهبهم وعقيدتهم الباطلة، وسيكشف الغشاوة التي على أعين الناس من حولهم، لكن الإسلام أيد العلم ودعمه لأنه يا عادل الدين الحق، وأن العلم كلما تطور أثبت حقيقة الإسلام، ولذلك علماء العالم الآن يكتمون الكثير من الأمور التي وافق العلم فيها القرآن والذي أكدها قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام.

إنه دين يدعوا للتطور والبناء ولو كانت أحكامه لا توافق ذلك التطور لما دعا إلى ذلك العلم أبدًا.

إنه دين كلما زاد العلم تطورًا وجد له مكانًا بين أحكامه دون الحاجة لتغيير تلك الأحكام.

عادل: حسنًا لكن تسليمنا الكامل يا خالد للدليل يلغي مسألة العقل، والقرآن دعى إلى العقل والتعقل في كثير من الآيات، ولا ننسى أن الرسول ﷺ قال: (الإثم ما حاك في نفسك)[1]بمعنى أنه أرجع مسألة تحديد الذنب إلى نفسك وعقلك وإلا لما خلق الله لنا العقل، وأنتم يا خالد تريدون تحجيم العقل منع الإنسان من أن يفكر.

خالد: سألتك سابقًا هل تريدني أن آخذ أشياء وأترك أشياء في الدين بحجة العقل؟ بالتأكيد لا، لأننا لسنا مخيرين في تنفيذ أوامر الدين حسب ما نريد، ولذلك العقل هنا دوره في اختيار المناسب لا في صناعة ما يناسب.

في اختيار طريق الله لا طريق آخر من مزاجه ليذهب به إلى الله ولذلك الآيات التي تحدثت عن العقل في القرآن لو تأملتها وقرأتها لعلمت أنها تدعوا العقل للتفكر في ملكوت السموات والأرض، وللاعتبار بالأمم السابقة لمعرفة الله والدين الحق والتمسك به، ولم تكن أبدًا في صناعة الحكم الشرعي المقرر مسبقًا من عند الله وعن طريق رسوله ﷺ.

[1] رواه مسلم .

إن العقل لا يقرر الأحكام ولا يشرعها لأنه كما أخبرتك بأن من خلق هو من يقرر، وأن تحديد الإثم يعود للشرع، وأما حديث الإثم ما حاك في نفسك أو استفتاء القلب هو هنا لتحديد أمر ما وضح للإنسان فيه دليل أو أن فيه خلاف، وهنا يكون للأمر المراد فعله أثر باطني وآخر ظاهري، فالباطني أن يجد الإنسان في نفسه وقلبه اضطرابًا من فعله فيتركه، والظاهري بأن يكره اطلاع الناس عليه فيتركه، وأما لو ثبت لديه الدليل أو علمه فيما بعد فالأمر منتهي.

إن كفار قريش في مكة يا عادل عرفت الله لكنها بمنطق عقولها رأت أن تختار واسطة بينها وبين الله سبحانه، ورأت بمنظور عقولها كذلك أنه من العار أن تترك آلهة آبائها رغم أنها كانت تعرف الله وتعظم البيت، لكن هل نفعتها تلك العقول؟

عادل: بالتأكيد لا، أعتقد يا خالد بأن الحديث أخذ منا مأخذه ولم نشعر بالوقت.

خالد: نعم، ألا تريدون أن تتناولوا شيئًا؟

مارك: لنتناول طبقًا من المشويات.

خالد: حسنًا، ليكن ذلك ونعود بعدها إلى منازلنا فلدي أمور لابد أن أنتهي منها قبل المساء.

مارك: لكن لابد من أن نلتقي هنا في نفس التوقيت من الأسبوع القادم.

خالد : حسنًا، اتفقنا.

انتهى اللقاء والحوار الساخن بتناول طعام الغداء، ثم عادوا لمنازلهم بعد أن اتفقوا على معاودة اللقاء في الأسبوع القادم.

عادوا إلى منازلهم لكن كلمات اللقاء مازالت ترن في ذاكرة مارك..

إنه دين يدعوا للتطور والبناء ولو كانت أحكامه لا توافق ذلك التطور لما دعا إلى ذلك العلم أبدًا.

إن الكنيسة ودور العبادات عند غير أهل الإسلام ترى من أن العلم وتطوره خطرًا يهددها، لأنهم باختصار ما لديهم ثابت والعالم من حولهم يتطور.

كلمات ما فارقت مخيلة الدكتور مارك.

حقًا هو كذلك، قالها مارك لزوجته إيميلي.

إيميلي: إن أحكام هذا الدين يا مارك تناسب كل زمان ومكان، وإن الإسلام يا مارك هو أعجوبة التاريخ، وإنني أشعر براحة كبيرة وإعجاب كلما أقرأ جزءًا عن هذا الدين.

مارك: هل تعلمين يا إيميلي بأنني اقتنعت كثيرًا بكلام خالد عكس عادل الذي لم أنجذب لحديثه.

إيميلي: لأن خالد متمسك في حديثه معك بما جاء به الإسلام ولا يريد أبدًا أن يحيد عن أحكامه، ولذلك يستمد قوته في الحديث معكم من منهج ذلك الدين.

مارك: لقد عرفت الآن، لكن أخبريني يا ايميلي لو دخلتِ في الإسلام هل ستشعرين بأن هذا الدين سيقيدكِ لأنكِ امرأة؟

إيميلي: لا نخدع أنفسنا يا مارك، وهل الحياة التي نعيشها الآن منحتني حقوقي التي تشعرني بأنني امرأة؟

إنني كامرأة أشعر وكأنني آلة تحركها الحضارة كيفما شاءت ولم تقدر بأني امرأة تتغير بي الظروف والأحوال .

جعلتني كالرجل رغم أن تكويني يختلف عن الرجل، وعندما نقول نحن عن الإسلام بأنه ظلم المرأة فإننا نضحك عليهم ونضحك كذلك على أنفسنا.

إنني عندما قرأت في الأمور التي يقولون فيها من أن الإسلام ظلم المرأة وجدت أن ما ندعيه كمجتمع غربي غير صحيح.

إنني امرأة يا مارك وأفهم عندما يأتي الإسلام ويفرق بين الرجل والمرأة، لأنه كما ذكرت تختلف طبيعتنا عن الرجال،

ولذلك جاء لنا بأحكام وتكاليف في العبادة تختلف في بعضها عن الرجال، بل نجد أنها أقل من التكاليف المطلوبة من الرجل وما ذلك إلا تقديرًا لها، فكيف نقول ظلمها وهو هنا يكلف الرجل بتكاليف أكثر منها ويرفق بها؟

كيف نقول بأن الإسلام ظلمها وهو هنا يراعي أوضاعها؟

إذا كان من الصعب أن تتساوي المرأة بالرجل في أمور العبادة التي يراها المسلمون بأنها الغرض من وجودهم على الأرض فكيف نريد أن نفرض المساواة عليهم بين الرجل والمرأة في أمور الحياة الأخرى؟

إن مجتمعنا المنفتح يخطئ عندما لا يفرق بين المرأة والرجل لأن المعطيات التي نرى المسلمين يقيسون بها في التعامل مع المرأة في أمور الدين والحياة هي قياسات منطقية ومتوافقة مع تكوين المرأة، و لو كانوا ظالمين للمرأة لوجدنا أنهم في أمور الدين والتي هي أهم بالنسبة لهم يكلفونها ما لا تطيق من باب أولى كما ذكرت لك.

حتى قضية الاختلاط والتي كنت أظن فيها بأن المرأة منبوذة من قبل الرجل في مجتمعات المسلمين ولذلك لا يريدونها بأن تشاركهم في بيئات الحياة المختلفة كما كنا نسمع ونقرأ، علمت الآن بأن كل ما قيل عن ذلك هراء.

نعم هراء، لأن الإسلام ما أراد إلا حماية المرأة وضمان الأمان النفسي لها، تمامًا كالملكة في عرشها لأنه يريد من ذلك عفافها وصيانتها من المؤثرات الخارجية التي تعترضها وتعانيها في حياتها، وأعانيها كذلك في حياتي، ويحميها بذلك من نظرات الساقطين، وحتى تتفرغ لبناء الأجيال، وبالتالي صلاح المجتمع الذي نعيش فيه جميعًا.

إنني يا مارك في ضيق أعيشه ومعاناة أقاسيها هنا في مجتمعي المنفتح الذي لم أستشعر من خلاله معنى أنني أم أو زوجة، حتى وأنا حريصة على ترابط أسرتنا.

إنني فقط أستيقظ من نومي لأجد قائمة من المهام التي لابد لي من تأديتها ثم مواصلة بقية المهام خارج المنزل.

إنني ألجأ أحيانًا لتقديم تنازلات عندما أكون خارج المنزل، وإن كانت بسيطة، حتى لا أضطر لتقديم تنازلات أكبر تضر بكرامتي.

إنني يا مارك قرأت عن المرأة في الإسلام فوجدتها كالملكة، اهتم بها وهي طفلة صغيرة فأوجب لها حقوق التربية والعناية من قبل الوالدين، واهتم بها وهي شابة بأن وضع لها حجابًا يحميها ويسترها، واهتم بها وهي زوجة بأن حفظ لها حقوقها من الاهتمام والحب والإنفاق من قبل زوجها، واهتم بها وهي أم بأن أوجب على أبنائها البر بها، بل

وحفظها حتى وهي عجوز، بل وتعدى ذلك حتى عند موتها وبعد موتها بدعاء أبناءها لها والصدقة عنها، وقد قرأت كلامًا لنبيهم يكفي المرأة يقول فيه: (استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم إن لكم عليهن حقًا ولهن عليكم حقًا)[1] أما في عالمنا ماذا أعطينا من حقوق؟

مارك: شيء رائع حقًا، إنه دين عجيب في روعته، وإنه لمن المؤسف أننا لم نفهم ذلك منذ زمن.

[1] رواه الترمذي .

انتظر الدكتور مارك الموعد القادم للقاء.

انتظره بشغف حتى أنه استعجل عادل في الخروج معه ووصلا مبكرين للحديقة.

مارك: صباح الخير، أنت منظم يا خالد تجلس كطريقتك في الأسبوع الماضي، ونفس الصحيفة، وكوب القهوة.

خالد: لأنك اخترت نفس المكان يا دكتور مارك، هههه.

كيف حالك يا عادل وكيف حال أبنائك؟

عادل: بخير والحمدلله.

خالد: ما بكما.. اجلسا.

عادل: حسنًا، سأناقش معك أمرًا يا خالد.

خالد: تفضل.

عادل: لماذا دائمًا ندعي أننا أمة واحدة لكننا في الأصل طوائف متناحرة، أين الوحدة الإسلامية التي ننادي بها؟

مارك: نعم هذا صحيح فكثيرًا ما نسمع من أن المسلمين يقتتلون فيما بينهم.

خالد: الله سبحانه وتعالى دعى إلى الوحدة بين المسلمين حين قال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[1] ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام وثقها في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، بل حتى وإن اختلفوا كمسلمين في يوم ما أرجعهم إلى ما يجتمعون عليه وهو منهج الله سبحانه، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال) [2]، ولذلك إن حصل خلاف بين المسلمين فليس ذلك لأن منهج الإسلام به نقص، أو أنه لم يراعي هذه الجوانب.. لا أبدًا ليست المشكلة في المنهج أو في التربية الإسلامية، لأن الشريعة كفلت بتربية المؤمنين على المودة والحب فيما بينهم، وحل الإشكاليات التي تقع بينهم في شتى مجالات الحياة ومن بينها العقدية، لكن الخلاف يحدث عندما يحيد طرف عن منهج الله سبحانه ولا يرغب بالعودة إليه أو التحاكم له، فتنشأ خلافات ما كانت لتنشأ لو قبل من حاد عن الشرع أن يعود إليه، ولذلك يكون الفريق الذي حاد عن الشرع هو الذي على خطأ.**

---

[1] سورة آل عمران آية 103 .

[2] رواه مسلم .

نعم على خطأ وينبغي عليه أن يعود إلى منهج الله كما ذكرت سابقًا في قول الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ ﴾[1]، **لا أن نطلب من المتمسك بالشريعة أن يقدم تنازلات من أجل أن تجتمع كلمته مع غيره من المخالفين وأصحاب الضلالات، أو أن نقول بأنه لا بد لنا من أن نعذر ونتجاوز عن بعضنا فيما اختلفنا عليه وإن كان باطلًا، لأن الأصل يكون في العودة للكتاب والسنة، وليس معنى أن أقول لك بأن هنالك فريق على خطأ أنني مقر للحزبية أو الطائفية، لا أبدًا، فلا ينبغي للمسلمين أن يتحزبوا بأحزاب أو أن يضعوا لذلك أنظمة يرونها أو يكونون طوائف ينتمون إليها، بل يجب عليهم الاجتماع تحت كلمة الله أمة واحدة لهدف واحد لأن طريق الحق واحد، و لوكانوا كذلك فلن يحدث خلاف بينهم.**

إن هنالك من يخطئ الخطأ البسيط فيكون الأمر سهلًا لكن هنالك من تكون أخطاءه في عقيدته ومنهجه فيحيد بعيدًا عن الإسلام ويكون خطره أشد، وأنت يا دكتور مارك ستعتقد بأنهم مسلمين لكن الواقع غير ذلك خاصة في تهجمهم على ثوابت وأصول إسلامية لا ينبغي الاقتراب منها كالدعوة للتبرك بالقبور، والدعوة لعبادة الأولياء، أو الاعتداء، أو حتى التنقص من صحابة رسول الله ﷺ، أو سب زوجاته

[1] سورة النساء آية 59 .

عليه الصلاة والسلام، أو إنكار بعض مراتب الدين وتعطيل شرائعه، أو حتى بعضها، أو طمس العقيدة والنيل من أصحابها و محاربتهم إلى غير ذلك من الأمور، وهم ما أرادوا بذلك إلا القضاء على العقيدة الراسخة، فهل تعتقد بأن هؤلاء مسلمون؟ خاصة أنهم يريدون أن يكون لهم منهج يتبع يدعون الناس إليه ويسقطونهم فيه؟

إن منهم من أراد تشويه الإسلام فلم يستطع أن يشوه صورته مباشرة فأخذ يطعن في بعض رموزه أو ثوابته لعله يستطيع أن يأتيه من هذا الباب.

إننا يا عادل عندما نترك أمثال هؤلاء يدعون الإسلام ويرسمونه كما تريد أهوائهم بحجة الاجتماع فإن الدكتور مارك وأمثاله سيظنون بأن هؤلاء مثال حي للإسلام، وستشوه سمعة المسلمين بسببهم والإسلام منهم براء.

عادل: لكن هنالك من يتفقون معكم في المنهج لكنكم تصفونهم بالليبراليين والعلمانيين.

خالد: ماذا يريد من وصفناهم بذلك يا عادل؟

عادل : يريدون دينًا سلسًا يتوافق مع المتغيرات، ولا يتم إدخاله في كل شؤون الحياة.

خالد: قد تحدثنا عن ذلك يا عادل من أن الدين منهج حياة لا يرتبط بدور العبادة فقط.

عادل: لكن.

خالد: النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة يا عادل ما الأمر الذي كان أهل المدينة يستعدون لفعله؟

عادل: كانوا يريدون أن يتوجوا عبدالله ابن سلول زعيمًا عليهم.

خالد: ولماذا يقرهم النبي ﷺ عندما جعلوه عليه الصلاة السلام هو من يدير شؤون المدينة ولم يجعلوها بيد عبدالله ابن سلول ليكون زعيمًا يقضي لهم في أمور دنياهم ويتفرغ هو عليه الصلاة والسلام لأمور الدين خاصة وأن هنالك شبه اتفاق بين الناس قبل هجرة النبي ﷺ على عبدالله ابن سلول لأن يكون زعيمًا، وهذا الأمر سيخفف على النبي صلى الله عليه وسلم المهام، وسيجعله يتفرغ للدعوة؟

عادل: لا أعلم.

خالد: ليثبت للعالم بأن الدين لا ينفصل عن الحياة، وأن أمور الحياة بيد الدين هو من يقودها، لا تعتقد أبدًا يا عادل بأن الأمور ستستمر بعيدًا عن ذلك.

إن ما يناديه البعض من فصل الدين عن الحياة والدعاية لذلك هي محاولة لقتل الدين وجعله دمية بيد الحياة تسيره كما تشاء، وإن حدث ذلك فلن يستقيم الدين على الأرض، ولن تتحقق السبل وتتيسر لتوجيه الإنسان في الدنيا للفوز بنعيم الآخرة، بل سينغمس الإنسان في شهواتها وسيخسر كل شيء.

عادل: لكن تطبيق الدين في الحياة سيخلق أناسًا يكرهون الدين، لأنه دين سيقتل الحياة، وسيدعو لتطبيق الحدود من قتل أو قطع يد، وهذا أمر ولى زمنه، وكل المنظمات العالمية تحارب الأنظمة التي تدعوا لذلك، بل حتى لو آمن بذلك البعض فإنهم سيبغضون هذا الأمر في داخل نفوسهم مما سيولد منافقين، ولا ننسى بأن النبي ﷺ قال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)[1].

خالد: أنت تعلم بأن القاتل والسارق وغيرهما ممن يرتكبون الجرائم المختلفة بحاجة إلى نظام يردعهم، و كما ذكرت لك سابقًا الله خلق والله وضع نظامًا لمن خلق لأنه أعلم بهم، ولذلك لن يردعهم إلا نظام من هو أعلم بهم، ولو تأملت في جميع قوانين الدنيا التي تدعي بأنها تحترم الإنسان وترى أنها وضعت قوانين صارمة لتحقيق الأمن لما وجدت أنها

[1] رواه مسلم .

استطاعت تحقيق الهدف الأمني الذي أرادته والذي يحقق للإنسان الطمأنينة المطلوبة، بل سنجد بأنها تحاول تغييرها من فترة لأخرى لأنهم وجدوا أنها لم تعد مجدية في ظل زيادة نسبة الجرائم وتغيرات العصر، فيضعون ما يظنون بأنه أجدى لكن الحال لم يتغير، فأين ما يرون أنه سيحقق لهم الأمن والعدل الذي ينشدونه؟

الإجابة هي بالعودة لنظام الإسلام المستمد من القرآن الكريم، لأن من وضعه هو من خلق الإنسان ولا شيء غير ذلك.

نحن دائمًا ما نتكلم عن إبداع الخالق في الكون، وكيف أنه سبحانه وضع نظامًا دقيقًا ورائعًا لتسييره، فلماذا لا نقر لذلك الصانع المبدع الذي صنع الأرض وأبدعها بأن ينظم حياتنا فوق الأرض دام أننا لمسنا عظمته من حولنا وتأكدت لنا؟

صدقوني بأن أكثر المشكلات والتي تعانيها المجتمعات وهي سائرة نحو التطور لن تحل إلا وفق منظور إسلامي، ولو تأملت في أعظمها أهمية لدى الناس وهي المشكلات الإقتصادية مثلًا لعلمت بأن الإسلام قد حلها منذ قرون.

قد تقولون بأن الله سبحانه أوجد هذه المشكلة يوم أن قسم البشر بين غني وفقير، وأن الفقير يعاني لأنه وُجد كذلك، لكن لو تأملنا في حقيقة الأمر لوجدنا أن نظام الزكاة الإسلامي والذي يشبه دورة الغذاء في الحياة حل هذه

المشكلة، فهو من جهة زكى مال الغني وطهره وأشعره بمن حوله، ومن جهة أخرى أمن عيشة الفقير وضمن له غذاءه الذي هو موجود أصلًا عند الغني، والذي لن يخرجه منه إلا فريضة الزكاة الإسلامية، وبالتالي تكون قد حلت أعظم مشكلة تؤرق المجتمع ولعاش الناس في رغد عيش أمان منشود، ولنقس على ذلك كافة أمور الحياة.

ثم إن حديث أنتم أعلم بأمور دنياكم ذُكرت في الزرع وأحكامه لأن النبي ﷺ رجل قرشي من مكة ليست لديه الخبرة الكافية بأمور الزراعة فترك لهم ذلك الأمر من تلقيح وحصاد، لأنهم أعلم بمهنتهم لكن دون الخروج عن حدود الشرع فلن يتم الحصاد مثلًا بمخالفات شرعية لأن الأمر ليس كما تعتقد من ترك الأمر كاملًا للناس كما يريدون، و كذلك في سائر الأمور.

ثم ألم يوجد منافقين في عهد النبي ﷺ يا عادل؟

عادل: بلى.

خالد : هل وجود المنافقين في عهده يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يوفق في دعوته وفي إدارته للأمور؟

عادل: حاشاه عليه الصلاة والسلام.

خالد: إن لكل نظام أعداء وهذه سنة الله في الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾[1]، وإن وجود المنافقين دليل على قوة الإسلام، وهؤلاء المنافقين الذين تتحدث عنهم ما استطاعوا مواجهته ظاهرًا لقوته ونجاحه فأخفوا عداوته باطنًا، ولو كان الإسلام ضعيفًا لأظهروا العداء له ولطعنوا في أحكامه كما يظهر الآن عند البعض، وبالتالي وجود المنافقين أمر طبيعي في كل منظمة ناجحة ورائدة.**

عادل: لكن ألا تتفق معي يا خالد بأن هنالك من يرغب في فعل الطاعة لكنه قد يترك عملها ليس كرهًا في الدين لكن عنادًا لبعض الذين يأمرون بالمعروف ينهون عن المنكر، لتدخلهم في شؤونه الخاصة؟

خالد: الإنسان بطبيعته يا خالد لا يحب أن يأمره أحد أو أن يتدخل في شؤونه أحد، ولذلك تجده لا يتقبل من يفعل معه ذلك الأمر، خاصة لو كان ذلك الشخص يحاول إبعاده عن شهوات تميل إليها النفس.

ليعلم الإنسان بأن رجل الحسبة أو الناصح ما فعل معه هذا الأمر إلا لحبه بأن ينال هذا الإنسان الذي عصى الله سبحانه

[1] سورة البقرة آية 251 .

الخير، ولو تأمل وفكر في نفسه لعلم بأن ثمرة استجابته لرجل الحسبة هي رضى الله عز وجل عليه.

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبدًا ليست تدخلًا في خصوصيات الإنسان، لأن من أمر بذلك هو من خلق الإنسان ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] **، ثم تأمل معي مالذي سيستفيده الذي يترك النصيحة عنادًا للناصح إلا مزيدًا من الآثام والذنوب، وبالتالي هو ما ضر إلا نفسه .**

نعم لنقل مثلًا كما تقولون بأن رجل الحسبة أخطأ في التوجيه، هل يعتبر إصراري على الذنب عقوبة لرجل الحسبة؟

أبدًا ليس الأمر كذلك، سأكون أنا الخاسر الوحيد في هذا الأمر، لأن هنالك عقوبة إلهية ستنتظرني لو استمررت في الخطأ كما ذكرت لك، وهنا أريد أن أشير إلى أمر مهم: وهو أن نتقي الله سبحانه في رجال الحسبة، فلا نلفق التهم عليهم أو نغتابهم أو نسيء سمعتهم، فالله يغضب لذلك، ولن يضيع حقهم، فكما هم مأمورين بالدعوة بالتي هي أحسن فنحن مأمورين بالاستجابة بإحسان، ولا ننسى بأن المنكر يغير

[1] سورة آل عمران آية 104 .

باليد أولًا، فإن لم يستطع المغير بيده فليغير بلسانه، ثم بقلبه، وهذه مراتب حددها الشرع كما تعلم، فليست هي سطوة من المحتسب، والنبي ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان)[1].

مارك: ما رأيك بالإسلام الآن يا خالد؟ وكيف هو مستقبل إسلامكم في ظل التطور المنقطع النظير لخصوم الإسلام؟

خالد: الإسلام دين لا يتأثر بما لدى خصومه فهو شامخ والله حافظ لدينه لكنه مرتبط بمدى تمسك أبنائه به.

هو دين يزيد الناس عزًا ولا يزيدونه شيئًا، ولذلك متى ما عاد أبناءه إليه وإلى التمسك به فسيسودون الدنيا، ولتعلموا أن ذلك قادم لا محالة، بعز عزيز أو بذل ذليل، والحق موجود ولن يندثر، وإن كان أهله أقلة في يوم ما فإن الله سيكثرهم وينصرهم، لأنه سبحانه غالب على أمره، ولأنه الحق الذي لابد له من أن يسود ويعلوا، ولذلك يحاول أعداء الإسلام دومًا إشغال أبناء الإسلام للبعد عن دينهم بالملهيات ومتع الدنيا، وكذلك بزراعة اليأس في داخل نفوسهم وأنهم أصبحوا متأخرين تابعين، وبث فيهم روح الانهزامية من تحقيق ذلك المجد والعودة إليه، وصدق عمر بن الخطاب

[1] رواه مسلم .

رضي الله تعالى عنه حين قال: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغير ذلك أذلنا الله).

مارك: صدقت يا خالد، أشكرك من قلبي، لقد غيرت فيني الكثير.

خالد: بل الشكر لله سبحانه أن يسر لك لتسمع كل ذلك.

مارك: لا أدري ماذا أقول لكنني أستأذنكم الآن، لأنني أريد أن أعود لمنزلي.

عاد مارك إلى منزله، لكنه هذه المرة عاد وقد قرر قرارًا لا يريد أن يتأخر في تنفيذه.

نعم يا إيميلي لقد قررت الدخول في الإسلام، ماذا عنكِ؟

إيميلي: وأنا معك يا عزيزي، لقد قررت كذلك أيضًا.

فرح الدكتور مارك كثيرًا لقرار زوجته إيميلي، وشعر براحة كبيرة بعد القرار العائلي السعيد، والذي بدأت بوادره تظهر من خلال السعادة التي لم يشعران بمثلها من قبل.

إنه فرحة الانتماء لهذا الدين.

للحق الذي أضاء لهما المنزل، وأنار لهما الطريق.

ذهب مارك وعائلته مسرعين إلى منزل عائلة خالد ليعلنان دخولهما في الدين الجديد.

نشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله.

أحقًا..

نعم، لقد أسلما، وارتفعت أصوات الفرح بالتكبير من منزل عائلة خالد.

نعم أسلم الدكتور مارك وزوجته إيميلي لأنهما عرفا الدين الحق.

الدين الذي استطاع أن يصل إليهما من بطحاء مكة إلى هنا..

إلى سان فرانسيسكو..

نعم أوصله الله لأنه دين عالمي.

لأنه دين لم يرتبط بفئة معينة، ولا بثقافة معينة.

لأنه دين يضيف إلى الإنسان، ومن أجل الإنسان.

لأنه دين أهل الأرض، ولأن الذي أوجده هو من خلق هذه الأرض.

دخلا في هذه الدين وتعاهدا بأن يواصلان الرحلة.

رحلة إيصال رسالته للعالم.

نعم هكذا قررا وصدق رسول الله ﷺ حين قال: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل و النهار)[1].

[1] أخرجه أحمد و الطبراني و صححه الألباني .

من بطحاء مكة إلى سان فرانسيسكو

تأليف: محمد علي الدباسي

في هذا الكتاب ...

إن شخصياتنا كمسلمين لا يرسمها أبدا حب القوة أو العداء كما تظنون إنما يرسمها منهج وضعه لنا دين يريد لنا الخير و يريدنا أن نبذل ليصل ذلك الخير لكل البشرية ولذلك حوربنا و إنني عندما أريد أن أجاوب على سؤالك لماذا لا نعيش مع بعضنا كما تدعي فإنني هنا لابد أن أجيبك على الكثير من التساؤلات لأن الإجابة هنا مرتبطة بكل شيء من حولنا لأن ديننا ليس محصورا في مكان العبادة فقط إنما في كل شيء في هذه الحياة

محمد الدباسي

ISBN 9786030143863